٥٦٢

562

دار م. النحاس

Wahas

HARLEQUIN

عبير

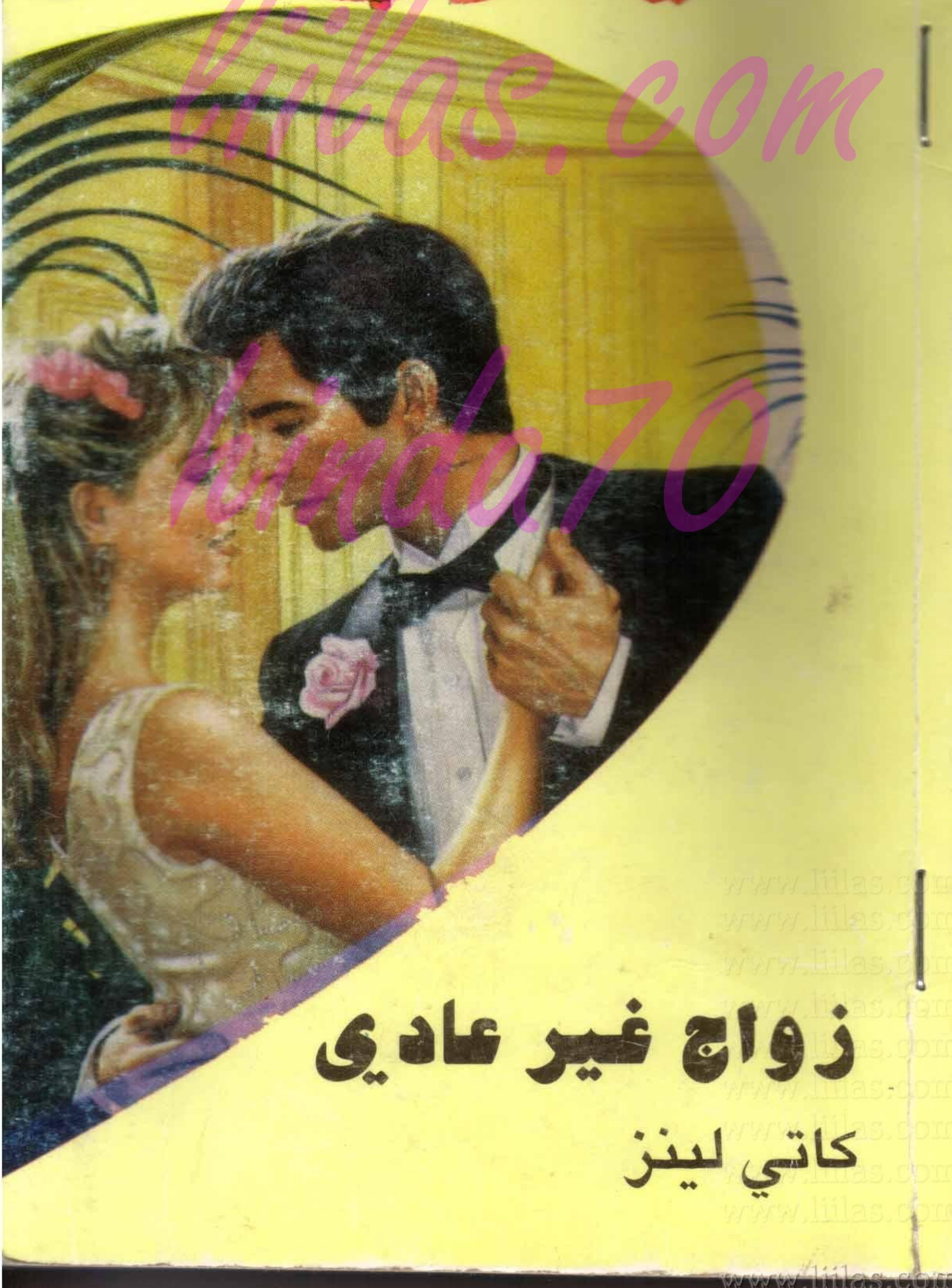

زواج غير عادي

كاتي لينز

www.liilas.com

كاتي لينز

كاتي لينز كانت في منتصف العشرينات من عمرها عندما تركت وظيفتها في مكتبة الجامعة للقانون لتصبح كاتبة متفرغة لروايات عصرية، ومنذ ذلك الحين نشرت فوق العشرين كتاباً، وقد فازت حديثاً بجائزة افضل روائية في تلك السنة.

تعشق الأسفار حول العالم حيث يلهمها ذلك احداثاً فكهة تستعملها في قصصها، وهكذا كان بالنسبة إلى هذه القصة التي الهمتها بها رحلة إلى ولاية نيو انغلند في الخريف، دوماً يتملك كاتي السرور عند العودة من اسفارها إلى بيتها حيث قطتاها، ومجموعتها الجديدة من الدببة الدمى.

٥٦٢

khouloub Abir 562

زواج غير عادي

كاتي لينز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

lilas.com
hinda70
www.liilas.com

الفصل الأول

«من أين يأتي الأطفال؟»

ألقت سيندي ذات الخمس سنوات بهذا السؤال على جارتها جيني بنجامين، كانت تلاحق جيني بأسئلة لا تتوقف وغالباً لا يمكن الإجابة عليها، وذلك منذ اخذت هذه العائلة الانتقال إلى هذا المنزل القديم بعض الشيء، هذا الصباح. كانت ستنام أخيراً هذه الليلة في بيتها الخاص بعد ان بقيت شهراً كاملاً تنام في منزل صديقتها ميريام إلى ان أتمت كافة إجراءات شراء المنزل القانونية.

رغم ان جيني لم تكد تمضي في نورث دنواي سوى اسابيع معدودة، فقد استطاعت اكتساب كثير من الأصدقاء في هذا الوقت... واصغرهم واكثرهم إلحاحاً كانت سيندي الصغيرة هذه أقرب جيرانها، ففي كل مرة كانت جيني تخرج فيها تحمل إلى الداخل قطعة من أمتعتها. كانت تجد سيندي في انتظارها، كانت الفتاة الصغيرة حلوة للغاية بشعرها الجعد القصير البني اللون وعينيها البنيتين الكبيرتين.

أجابتها جيني: «عليك ان تلقى بهذا السؤال على والدتك.»

قالت سيندي: «لقد ماتت والدتي عندما كنت صغيرة، ولكنني صبحت فتاة كبيرة الآن ولم أعد افتقدها على الدوام.»

قالت جيني وهي تجلس بجانبها على الدرج: «ووالدتي تا ماتت هي أيضاً عندما كنت صغيرة.»

www.liilas.com

التفتت سيندي تحدّق اليها بعينين صريحتين: «أصحيح؟»

«صحيح.»

«امازلت تشعرين بالحزن احياناً لأجل هذا؟»

فأومأت جيني تقول: «احياناً.»

قالت سيندي: «وأنا أيضاً، وانا مسرورة لأنك هنا، ويمكنك ان تكوني صديقتي اذا شئت.»

«أنا احب هذا يا سيندي، احب كثيراً ان اكون صديقتك.»

أضافت سيندي تقول: «ثم انك ستحبين والدي، كل البنات يحببن والدي، انه رجل ذو شعبية اكثر من الحيوان.»

وكان هذا ما تحتاجه جيني بالضبط، كما اخذت تفكر... بنتاً صغيرة ذات عينين تدميان الفؤاد ورجلاً له شعبية الحيوانات، فيا له من مزيج يبعث على التسلية.

لكن جيني لم تأت إلى نورث دنواي للتسلية، وانما جاءت للعمل، واحوالها لا تساعدها على نسيان ذلك، ان ثمة الكثير يتوقف على نجاحها هنا، ومع انه كان صحيحاً ان جدتها كانت تركت لها مبلغاً معتبراً من المال في وصيتها، إلا أنها لن تقبضها إلا عندما تتزوج... وهذا أمر غير وارد الآن بالنسبة إلى جيني، كلا، فقد كانت جيني هنا تعتمد على نفسها مالياً.

ولم يكن امامها إلا الرجاء بأن يستمر الحظ معها وكل شيء سيكون على مايرام في النهاية، وإلى ان يحين ذلك، علهيا ان تهتم بآخر اسئلة سيندي: «من أين يأتي الأطفال؟»

* * *

«هذا رائع.» هتفت جيني بذلك، بعد عدة ليالٍ، وهي تبتعد

ني كرسيها إلى الخلف لتتأمل آخر ما صنعته يداها من الدمى، الدبة بونيتا، ثم تخاطبها قائلة: «ان اذنيك اقصر مما هو مفروض ان يكون... وعليّ ان اصلحهما بهذا الشكل، ها انك اصبحت أحسن كثيراً.» وتوقفت جيني لتربت على أنف بونيتا المطرز، بحنان، ثم تابعت موجهة كلامها إلى مجموعة الدببة المختلفة الأحجام والمصطفين حولها بنصف دائرة، تابعت تقول: «هل انتم معي، يا شباب؟ انها مكتملة الجمال الآن، أليس كذلك؟ مثلكم تماماً.»

بما ان جيني كانت قد فازت بجائزة صنع الدببة الفنية، فقد كانت تحيط نفسها بمخلوقاتها دوماً، اثناء العمل، فقد كانت مصدر الهام لها، كما انها كانت تمدها بالحيوية والنشاط. وما كان قد ابتدأ هواية اتخذتها، اصبح الآن تجارة رائجة ترسل بالبريد.

ابتدأ ذلك منذ حوالى أربع سنوات وذلك حين نال دب ينجامين الذي صممته بنفسها عدة جوائز في معرض الدببة الدمى، وكذلك جائزة الدب الذهبي الكبرى، ومنذ ذلك الحين توالت الدببة، صنعت برترام وهو يمثل دباً مشاغباً ذا عينين ماكرتين، والدب الجد والذي يشبه أوائل ما صنعت من الدببة بجسمه المصنوع من التويد الصوف والزرين اللذين يمثلان عينيه، ثم هناك سلسلة من الدببة الأطفال. وكانت جيني تكن لها جميعاً أبلغ الحب، وكذلك الزبائن حسب حجم المبيع.

في الواقع لم تكن جيني تستطيع تلبية جميع الطلبات المتدفقة عليها، والذي كان سبب انتقالها من شقتها الصغيرة ذات الغرفتين في ولاية كونيكتيكت إلى هذا المكان الكائن في الطرف الغربي من مدينة السياحة في

www.liilas.com

نورث دنواي، نيو هامبشاير، وخلفه الطريق الرئيسي والتلال المكسوة بالغابات، وكان هذا المكان يناسبها تماماً، فهو ليس منعزلاً تماماً ولكنه ليس في وسط المدينة حيث الزحام، وفي الواقع كانت تستمتع خلف المنزل بمنظر التلال والغابات ما يجعلها تشعر وكأنها في الريف، ولكنه في الحقيقة لا يبعد عن وسط المدينة سوى خمس دقائق.

منذ زمن بعيد ربما منذ مئة وخمسين عاماً، كان منزلها هذا جزءاً من مزرعة، ولكن الآن لم يبق من تلك المزرعة سوى مخزن الغلال، في الواقع كان اكثر ما دفعها إلى شراء هذا المنزل هذا المخزن، اتساعه، كان المكان المناسب تماماً لعملها في صنع الدب بنجامين واصحابه.

اما حالياً، فقد كان المكتب الجالسة فيه هو المكان الوحيد الذي يمكنها استعماله لذلك، ولكن العمل في تجديد المخزن كان قائماً، وبعد اسبوعين يكون العمل فيه قد انتهى، أو على الأقل هذا ما قاله المقاول السيد غاردنر مطمئناً إياها.

بدا وكأن كل شيء سينتهي في وقت واحد، بما في ذلك الدبة بونيتا.

قالت تخاطب الدب بنجامين وهي تضع النموذج النهائي بجانبه: «اظنني وجدت اخيراً الرفيق الملائم تماماً لك، يا بنجامين.» ثم امالت رأسها إلى جانب ومضت تتأملهما لحظة قبل ان تومىء استحساناً وهي تقول: «انكما تبدوان وكأنكما موجودان لبعضكما البعض، ما رأيك فيها، يا بنجامين؟ انها جميلة أليس كذلك؟» ثم اضافت ضاحكة «من حسن الحظ ان الساعة هي الثانية صباحاً، وإلا ظن

الناس ان هناك شيئاً في عقلي وهم يروونني اتحدث إلى الدمى، وطبعاً، ليس ثمة مشكلة بالنسبة إلى عشاق الدمى، بل انا أعني سواهم، ولكن ما الذي يهمنا منهم؟» واصلحت من وضع الدبة بونيتا، ثم قطبت جبينها، «لا أدري إذا كانت تنيك كبيرتين بعض الشيء الآن؟»

في تلك اللحظة، التقطت أذنا جيني ضجة خارج المخزن، تبذت ذلك من ذهنها في البداية، معيدة إياه إلى الأرنب الذي كانت اطعمته خلف المخزن، ولكن الضجة ما لبثت ان بدت أعلى وأقرب ما جعلها تميز فيها اصوات خطوات بشرية.

أدركت جيني فجأة انها في موقف ضعيف للغاية... إذ كانت وحدها في مخزن خالٍ وفي منتصف الليل، وقد ضخمت ظلمة المكان من الصوت ما بدا منذراً بالشر، وبدافع من غريزتها، أمسكت جيني بأول شيء كبير كان في متناولها ولم تدرك إلا بعد ان حملته، انه كان دباً دمية يبلغ ارتفاعه أربعة اقدام.

ومن اعماق الظلام جاءها صوت رجل ساخر: «ما الذي تريدين ان تفعلي بهذا الشيء؟ ان تقتليني به؟»

قالت محذرة وهي مازالت تهدده بالدب: «إبق بعيداً عني.»

فقال الرجل وهو يتقدم إلى دائرة الضوء: «هل هذه طريقتك في تحية الجار؟ انني رايف مورفي والد سيندي، وقد تعارفنا أول مجيئك، وانا اقرب جيرانك، هل تذكرين؟»

فتذكرته جيني تماماً، ومن غيره له مثل هذه القامة الطويلة المتينة البنية واللون الأسمر؟ لقد كان رايف مورفي رجلاً لا يمكن نسيانه، بعينيه اللتين تشبهان عيني ولد مشاغب، كان من نوع الرجال الذي تحذر الوالدة ابنتها منه،

www.liilas.com

ذلك النوع الذي يجعلك تقولين نعم في الوقت الذي تعلمين فيه ان عليك ان تقولي لا، حتى في ضوء المخزن الباهت أمكنها ان ترى تلك النظرة في عينيه الزرقاوين واللتين كانتا أعمق لوناً من عينيها.

وإذ رأت نظرة الهزل في عينيه نحو الدب الكبير الحجم والذي مازالت ممسكة به، أنزلته بسرعة ووضعته على الكرسي وهي تسأله باهتمام: «هل سيندي بخير؟ هل حدث شيء؟»

«سيندي بخير.»

فسألته: «ما الذي تفعله هنا، إذن في هذا الوقت من الليل؟» كانت تعرف ان رايف هو والد سيندي وانه يملك مطعماً بجوار منزلها، ولكن هذا لا يفسر ما يفعله في مخزنها في منتصف الليل، ما جعلها تكاد تموت خوفاً، وتابعت تقول: «لا تخبرني بانك جئت لاقتراض كوب من السكر.»

«كلا، فقد جئت لأتحدث إليك، كنت اغلق المطعم بعد انتهاء العمل، فرأيت المخزن مضاءً، وليس من عادتك التأخر في العمل إلى هذا الوقت.»

كيف علم بذلك؟ وتملكها الإرتياب، فقد أثار قلقها التفكير في احتمال انه يراقبها، كما انه هو نفسه يقلقها، فقد كان في هذا الرجل شيء ما غير عادي.

سألته: «كيف دخلت؟ لقد كنت اقفلت الباب.»

«عندما دخلت كان مفتوحاً.»

كان بإمكان جيني ان تقسم انها اقفلت الباب خلفها، ولكنها لم تشأ مناقشته في ذلك في مثل هذه الساعة من الليل، فعادت تسأله: «انك مازلت لم تخبرني بما تريد؟»

«لقد قلت لك انني أريد ان اتحدث إليك.»

في مثل هذه الساعة من الليل؟ وعن ماذا؟ انك تعلم انه لا يعجبني هذا التسلل منك إلى هنا واخافتي بهذه الطريقة.»

فقال: «عندما تخافين في المرة القادمة، ارفعي سماعة الهاتف بدلاً من هذه الدمية الغبية المحشوة، فلو كنت انا مقتحماً عليك المكان لما استطاع ذلك الشيء ان يحميك.»

ولم تغير لهجته من طبعها: «شكراً لهذا الدرس في حماية النفس، ولكن اخبرني شيئاً، يا سيد مورفي، هل كل الجيران هنا يحسنون اخافة الآخرين مثلك، أم ان هذه صفة تختص بك انت فقط؟»

وبدلاً من ان يجيب وقف رايف واخذ يتأملها، كانت تضع يديها على وركيها وهي تحملق فيه ساخطة، وكان شعرها البني الذي ينسدل إلى كتفيها مفروقاً من جانب ومتهدلاً على جبهتها دون ان يغطي عينيها الواسعتين ذات اللون الأزرق السماوي.

لكنه مالبث ان ذكر نفسه بأنه هنا لسبب ما، سبب عملي، فحول نظراته عن جيني وقال: «اظنني سمعتك تتحدثين إلى شخص هنا.»

«كنت اتحدث إلى نفسي فقط.»

رفع حاجبه: «هل تفعلين هذا كثيراً؟»

«احياناً، ولكنني واثقة من انك لم تأت إلى هنا في الساعة الثانية صباحاً لكي تناقش مزاياي الشخصية.»

فتمتم يقول برقة: «لا أدري ان مزاياك الشخصية قد تكون ذات أهمية.»

تحركت جيني متوترة، كانت عيناه تنطقان بشيء ما، لم تستطع إدراك كنهه.

www.liilas.com

قالت له: «شكراً لاهتمامك هذا، ولكن لا حاجة بك للقلق فأنا بخير، ويمكنك ان تذهب الآن.»

قال: «آه، انك تأذنين لي بالذهاب إذن، أليس كذلك؟ ولكن ليس هناك من يستطيع ان يوجه إليّ الأوامر، يا سيدتي.»

فضاقت عيناها: «آه، وأخيراً هناك شبه بيننا، إذ لا احد يستطيع ان يوجه إليّ الأوامر، أنا أيضاً، يا سيد مورفي تذكر هذا ومن ثم نصبح معاً على مايرام.»

فقال: «سمعت انك كنت تتحدثين مع ابنتي.»

«هذا صحيح، فهل هناك شيء ضد هذا الأمر؟»

«انها في الخامسة من عمرها فقط.»

«ثم؟»

«انها حساسة تتأذى بسرعة.»

«هل جئت إلى هنا الساعة الثانية صباحاً لكي تحذرني من إيذاء ابنتك؟» قالت هذا بلهجة من لا يصدق هذا.

«كلا، لقد جئت لكي أعرض عليك أمراً.»

«أي نوع من العروض، هذا؟»

«فتاة صغيرة متشككة، أليس كذلك؟»

نصبت جيني قامتها التي تقارب المئة وسبعين سنتمتراً طولاً وهي تقول: «هنالك شيء آخر يجب ان تعرفه عني، يا سيد مورفي، وهو أنني لا احب ان أوصف بأنني صغيرة.»

سألها: «اتظنين ان بإمكاننا التحدث بشكل مهذب هنا من دون اعتراض منك؟» وكان في لهجته من التعالي ما أثار غضبها، فأجابت بحدة: «انني واثقة من ذلك بشرط ان تتوقف عن التكلم بمثل هذا التعالي.»

فقال: «انك تمثلين دور أميرة بلهجتها الباردة ومظهرها الملوكي، أليس كذلك؟»

لم تجد سوى الابتسام لسخافة قوله: «مظهر ملوكي؟ أحقاً؟ منذ متى كان بنطلون الجينز والقميص القطني مظهراً ملوكياً؟»

رد عليها بحدة: «هذا يعتمد على من يلبسهما.» لقد كان مظهرها الأنثوي وصوتها المميز والذي يمتزج فيه النار والثلج، كان لكل ذلك تأثير بالغ عليه، ومن سوء الحظ انها تمتلك هذه الطباع الحادة، فقد كان يفضل المرأة الهادئة الوديعة الخجول، كما كانت سوزان، وتملكه الألم والمرارة لذكرى زوجته الراحلة تلك.

لقد مضت أربع سنوات على وفاة سوزان، وكان رايف يحب ان يظن انه قد تعود على فكرة موتها بعد ان أمضت عاماً كاملاً في صراع مع مرض السرطان، وقد حان الوقت ليتابع حياته.

وإذ رأت جيني ظلاً من الألم يرتسم في عيني رايف، سألته برقة: «هل ثمة أمر سيء؟»

ولدى سؤالها هذا، قام بينهما جدار غير مرئي يستر مشاعره، والتي كان معظمها موجة من فروغ الصبر وهو يقول: «نعم، هنالك أمر سيء، فقد تجاهلت اتصالاتي بك، وهذا هو الأمر السيء، فقد اتصلت عدة مرات في الأيام القليلة الماضية وتركت لك رسالة في آلة التسجيل فلماذا لم تجيبي على اتصالاتي؟»

«كنت مشغولة جداً.» ولكن الحقيقة كانت هي ان والد سيندي الجذاب والشعبي جعل جيني متوترة للغاية، وكان ذلك قبل ان تتحدث إليه، أما الآن وهي تقف معه وجهاً لوجه فقد أصبحت اكثر توتراً، كما ان موقفه المتعالي قد أزعجها، ولم تعجبها معاملته لها بهذه الطريقة.

www.liilas.com

فسألها: «اتريدين ان تقولي انك كنت من الانشغال بحيث لم تجدي وقتاً ترفعين فيه سماعة الهاتف لتكلميني دقيقة كنت اتصل بك بشأن قضية عمل.»

«أي عمل يا سيد مورفي؟»

«اسمي رايف، والعمل يختص بأملاكك هذه، حيث انك قد اكتشفت الآن، دون شك، ان المكان متهالك إلى حد كبير، واني احب ان اقدم اليك عرضاً سخياً لشراء المكان منك.»

«لا بد انك تمزح، فأنا قد انتقلت إلى هنا لتوي، ولا أنوي العودة من حيث أتيت.»

«ولكنك لم تسمعي عرضي بعد.»

«هذا غير مهم، فأنا لا اريد البيع مهما كان سخاء ما تعرضه عليّ.»

«انني اتحدث عن مبلغ سخي جداً.»

«لا يهمني هذا.» قالت ذلك بحزم، فقد كانت قررت الانتقال إلى هنا، وأنفقت مبلغاً كبيراً من المال في سبيل إعداده وتجهيزه، وتابعت تقول: «انني لن انتقل من هذا المكان إذ ان عملاً لديّ ساديره هنا.»

«ما هو نوع العمل الذي ستديرينه في مخزن الغلال.»

«انه عمل مربح، ثم بالنسبة اليك، كم مضى عليك منذ فتحت المطعم؟»

قطب حاجبيه لتغييرها الموضوع، وأجاب: «سبع سنوات، لماذا؟»

«كل ذلك الوقت الطويل؟ من الغريب انك استطعت البقاء في عمل كهذا بالرغم من تصرفاتك غير الاجتماعية.»

«هل هذه هي طريقتك في القول انني غير مهذب؟»

«يبدو انك تظن الآخرين يتحاملون عليك، واحب ان اعلم السبب.»

«لنقل فقط اننا آتيان من عالمين مختلفين تماماً.»

«ليس لديك أقل فكرة عن نوع العالم الذي جئت انا منه، فنحن لم نتبادل اكثر من عدة جمل منذ قدمت إلى المكان في بداية الشهر، ومن حسن الحظ ان ابنتك اكثر ثرثرة منك.»

«ماذا تعنين بهذا؟»

«اعني انني اعرف ان اصلك من شيكاغو، وان والدك، بحار متقاعد، يعيش معك ويساعدك في رعاية سيندي، وانتم الثلاثة تعيشون فوق المطعم، آه ويبدو ان على ذراعك اليمنى وشماً يمثل صورة لمرأة.»

قال بلهجة هي مزيج من السخط وعدم الرضا: «يا لابنتي من ثرثارة فاضحة للأسرار.»

«حينما انت تفضل عدم البوح بأي شيء اكثر من الاسم، المركز ورقم الخدمة التسلسلي.»

«ان والدي هو الذي كان في خدمة البحرية، وليس انا، لقد ابتدأنا الكلام في هذا الموضوع، على كل حال؟»

«لقد رفضت عرضك الشراء مني، فأخذت تشتمني.»

«لم اتحدث عن الأمور المبالغ فيها هي شيء غير مناسب...»

قاطعته بقولها: «الساعة الآن هي الثانية صباحاً، يا سيد، وانا لا اريد الاستمرار في هذا النقاش اكثر مما هو ضروري، فقد تعبت هذا النهار جداً.»

«وأنا أيضاً.»

«هذا شيء آخر نتشابه فيه، إذن فنحن الاثنين لدينا عمل

www.liilas.com

حر ناجح نعمل فيه ساعات طويلة، ما عدا انك في مطع
بينما انا عملي في الصناعة.»

«وماذا تصنعين؟»

أجابت: «الدببة للأطفال.»

«لا شك انك تمزحين...»

فهزت رأسها: «كلا، أبداً.»

«لقد قالت سيندي شيئاً عن امتلاكك لكثير من الدبب
ولكن... أي نوع من العمل تحصلين عليه من الدببة؟»

«كما سبق وقلت من قبل، انه عمل مربح جداً.»

«لا استطيع ان اصدق انك ترفضين بيع هذه الأملاك ل
لأنك تريدين البقاء هنا لصنع اشياء مثل هذه...»

«ها قد عدت إلى طريقتك غير المهذبة في الكلام للمر
الثانية، فحذار من الثالثة.»

قال وهو يشير إلى الدب الضخم الذي كانت حملته تحتم
به: «هل تصنعين في العادة، أشياء كهذه؟»

«كلا، فهذا نموذج تجاري، اما تلك فهي من صنعي
وأشارت إلى المجموعة الباقية.

عندما اقترب رايف منها، خطر في بال جيني ان قضاء وق
اطول معه في مثل هذا المكان والساعة ليست بالفكر
الحسنة... فقد كان سيء الأدب وبالغ الجاذبية في نف
الوقت.

فقالت له: «حذار مما قد تقوله، انك لا تدري ما قد افعله إ
انت حاولت ان تسخر من عملي.»

أخيراً قال: «انها تبدو لا بأس بها.»

«شكراً.»

التفت اليها قائلاً: «اذن فقد صممت على البقاء هنا
صنع هذه الدمى.»

«هذا صحيح.»

«هنا من المخزن؟»

«وأيضاً هذا صحيح.» أشارت إلى الأتربة والبلاط الذي
غطي الأرض وإلى الجدران غير المنتهية.

«قد لا يبدو الآن كما يجب، ولكن عندما ينتهي المقاول من
عمله، فانت لن تعرف المكان.»

«ولماذا تريدين هذا المخزن بالذات؟»

«انه فسيح بالقدر الذي احتاج اليه، كما انه رخيص
يمكنني دفع ثمنه.»

«هنالك امكنة رخيصة أخرى كثيرة وبنفس الاتساع
وكما سبق وقلت لك من قبل، فأنا مستعد أن أدفع لك ضعفي
ما دفعت في املاكك هذه.»

«لماذا كل هذا الحرص على شرائه؟»

«لأنني مصمم على توسيع مطعمي.»

كانت جيني قد رأت المنزل الفيكتوري الطراز والذي كان
رايف قد حوله إلى مطعم، كانت قد رأته من الخارج فقط،
ولكنها كانت قد سمعت بأن الطعام فيه لذيذ، ويبدو ان
المطعم كان شعبياً وناجحاً، وتوسيعه كان امراً منطقياً،
فقالت له: «ومن الذي يمنعك من ذلك؟»

اجابها: «أنت. فالاتساع ينبغي أن يكون في هذا الاتجاه،
حيث انه لا يوجد مساحة كافية لدي في الاتجاهات الأخرى.»

«لماذا إذن لم تشتر هذه الأملاك قبلي أنا؟»

«لقد حاولت ذلك فعلاً، وفي الواقع ظننت انني نجحت

www.liilas.com

في ذلك إذ عقدت اتفاقاً مع العجوز ميلر، وإذا بك تأتين
«وهل وقعتما اتفاقية الشراء؟» سألته ذلك بدهشة.
أجاب: «كلا، ولكننا كنا على وشك القيام بذلك، ثم أتيت انت
فقالت: «لأنني وعدته بأن لا اهدم هذا المخزن، والذ
كان في املاك السيد ميلر منذ اجيال، لأجل ذلك قرر
يبيعني إياه مع المنزل، وله الحق في ذلك، قد يكون
غريباً، ولكن الخيار هو للبائع.»
سألها: «ولماذا تريدين البقاء هنا بالذات؟ ان بإمكا
القيم بعملك في أي مكان.»
أجابت ببساطة: «لأن المكان هنا أعجبني.»
بدا وكأن جوابها هذا قد اغضبه، فقال: «ليس هذا جو
منطقياً.»
فهزت كتفيها: «أنا أراه كذلك.» ولم تستطع منع شعو
الرضا الذي تملكها حين رأت ضيقه.
«إذن فأنت لن تبيعي؟»
«هذا ما كنت اقوله طوال ربع الساعة الماضية. أنا
أبيع.» وعندما بدا الاحباط والغضب على وجه رايف، اشفق
عليه وقالت: «ألا يمكنك ان توسع مطعمك من الخلف؟»
«اتساع المكان لا يكفي.»
«أنا آسفة.»
رد بحدة: «لا لزوم لأسفك، فالأمر لم ينته بعد، و
الممكن ان تغيري رأيك وتقرري البيع، فأنت لم تمضي
هذا المكان وقتاً طويلاً، ولهذا قد تكتشفين بأن المكان
يعجبك كما ظننت في البداية.»
فقالت: «هذا يبدو نذير شؤم.»

الحقيقة غالباً كذلك.»
انها ليست رغبة عابرة، يا سيد مورفي، فقد فكرت في
بعناية قبل الانتقال إلى هنا.»
قال ساخراً: «بنفس العناية التي رفعت فيها هذا الدب
الصيف لكي تحمي نفسك به من المقتحم. انك بحاجة إلى
اكثر صفاء، بصفتك المسؤولة عن عملك، وتصرفك هذا
يشر بخير بالنسبة لمستقبلك.»
كانت نظرتها تنطق بالسخرية والغضب معاً، وكذلك صوتها
هي تقول: «طبعاً، كان عليّ ان اعلم بأن رجلاً بمثل مواهبك
الكثيرة لا بد لديه القدرة على التنبوء بالمستقبل، كذلك ايمكنك
ان تخبرني أيضاً عن نمرة اليانصيب الرابحة هذه السنة؟»
«ان التنبوء بانك لن تبقي في هذا المكان وقتاً طويلاً، لا
يحتاج إلى ذكاء خارق.»
«لا يقوم بمثل هذا التنبوء الأحمق والذي لا يرتكز على
اساس، إلا شخص لا عقل له على الاطلاق.»
فقال: «من هو سيء الأدب فينا الآن؟»
«على كل حال، ان هذا الوقت المتأخر ليس مناسباً
للنقاش.»
كان رايف قد انتبه إلى انها الآن تقف امامه واضعة يديها
على وركيها المستديرين، وتذكر اغنية يحبها تقول:
«فينوس في الجينز الأزرق» فابتسم، فهذه الأغنية تناسبها
تماماً، فهي تبدو فعلاً وكأنها فينوس في بنطلون جينز.
ثم قال لها: «إذا كنت مستعدة لاقفال المخزن، فسأسير
معك إلى باب منزلك.»
«هذا غير ضروري.»

www.liilas.com

«نعم، أعلم هذا وانما كنت أريد ان أبدو شهماً
فاستمتعي بذلك الآن لأنه شعور مؤقت لدي.»

ناولته بعض الدببة ليحملها وهي تقول: «في هذه الـ
يمكنك ان تساعدني بحمل هذه المجموعة إلى المنزل.»

«لماذا لا تتركيها هنا؟»

ابتسمت وهي تراه واقفاً يحمل هذه الدمى بحرص وكـ
ديناميت، ثم اجابت: «لأنها تستوحش هنا.» ووضعت
بنجامين على وركها وحملت بونيتا باليد الأخرى و
تتابع: «لا استطيع تركها جميعاً في الظلام.»

فقال ساخراً: «هذا لا تستطعينه طبعاً، انك تتكلمين
سيندي ابنتي.»

«انها تشبهك كثيراً.»

بل تشبه والدتها اكثر.»

«انني آسفة لأجل زوجتك...» وسكتت فجأة لا تدري كـ
تعبر عن عطفها.

لم يرد، وحذرها شيء ما في موقفه بأن لا تست
بالحديث معه في هذا الموضوع.

لاحظت انه لم يعد واضعاً خاتم الزواج في يده، وان كـ
واضحاً انه مازال لم يشف بعد من تاثير وفاة زوج
وعندما غادرا المخزن كان الصمت يلفهما، وكانت قد انق
باب المخزن الجانبي عندما سمعت ضجة.

اجفلت، ثم استدارت وهي تشهق: «ما هذا؟» وبعد
بلحظة، كانت أرنب تسير مع ثلاثة من صغارها تق
الساحة المضاءة بنور القمر، وابتسمت جيني لمرآها: «
انظر انها أرنب... أليست هي جميلة للغاية؟»

التفت اليها باستياء: «كلا، فهي مزعجة، أرجو انك لا
تحضرينها.»

«لماذا لا؟»

لأنها حيوان وحشي وعليه ان يعول نفسه، انت لا
تطعميها بذلك.»

قالت بهدوء: «ان كل مخلوق بحاجة إلى شيء من
المساعدة احياناً، حتى الحيوان المتوحش.»

«انها حيوان يعيش على النبات وليست كلاباً مدللة.»

«اني لا احب الكلاب المدللة.»

«وهل تفضلين الحيوانات المتوحشة؟»

اجابت: «لا بأس مادامت لا تعض التي ايت تطعمها.»

«لقد تعودت الحيوانات ذلك.»

كانا الآن قد وصلا إلى الدرجات الخلفية لمنزلها، قطب
حاجبيه وهو يرى حالة الدرجات السيئة والتي كانت
بحاجة إلى اصلاح، وقال لها: «عليك ان تصلحي هذه
الدرجات، وكونك لم تكسري عنقك حتى الآن هو بمثابة خير.»

قالت: «ان هذه احدى الطرق التي تجعلك تحصل على
الأملاك، أليس كذلك؟»

«لم تعرف جيني ما الذي جعلها تقول كلاماً كهذا، فقد
كانت زلة لسان ليس إلا.

لكن رايف لم يكن هازلاً، فناولها الدببة بإهمال كادت
تسقط معه، ما جعل جيني تصرخ احتجاجاً: «ما هذا؟ انتبه
جيداً.»

قال: «اذا انت لم تدخلي المنزل بسرعة، سيكون عليك
ان تنتبهي، فقد فقدت صبري معك.»

www.liilas.com

تمتمت تقول: «لا تمزح.» كانت نظرته تنبىء عن طي
الحاد، ولم تعرف ما الذي جعله يغضب بهذا الشكل.

ثم قال لها باختصار: «فكري في ما عرضته عل
واصلحي هذه الدرجات.»

بعد ذلك بلحظة كان قد ذهب إلى حيث توارى في الظلا

فتمتمت تقول: «ما اكثر الحيوانات المتوحشة في نو
دنواي، ولا شك ان هذا يعض.»

وفي الظلام، تناهت كلماتها إلى رايف والذي لم يكن
ابتعد بعد، إذ كان واقفاً ليتأكد من دخولها المنزل سال

وكان الشيء الوحيد الذي نبهها إلى وجوده، هو لمس
مفاجيء في الظلام، فقد كانت ابتسامته العريضة تكشف
اسنانه الناصعة وهو يتمتم: «آه، نعم فانا اعض، ولكن لي
قبل ان تزداد معرفتي بك.»

وتبع صدى ضحكته جيني وهي تصعد الدرجات هار
إلى الداخل حيث صفقت الباب خلفها بعنف اجفلت
الحيوانات البرية وسر له رايف، الذي تمتم قائلاً لها ولنفس
«وساعرفك اكثر، واكثر، فضعي هذا في حسابك.»

الفصل الثاني

م تنم جيني جيداً في تلك الليلة، واستيقظت في الصباح
غامضة لحلم يدور حول ذئب... ذئب له ابتسامة رايف
العريضة وعينيه اللتين تشبهان عيني طفل مشاغب،
نفسها تهمهم: «من ذا الذي يخاف من ذئب كبير
أخذت تحدث صورتها في المرآة وهي تضع زينتها:
تأخر كثيراً عن النوم في الليالي، الحديث مع الدببة جميل
لكن ليس الحلم برايف مورفي.» وأغلقت علبة الزينة بعنف
تابع الحديث إلى نفسها: «فلا تفكري في شيء، فأنت
حظك مع الرجال، هذا إلى ان لديك الكثير من المشاكل قبل
للعمل، فأنت لست بحاجة إلى مزيد من الإزعاج.»
زينتها وحديثها إلى نفسها، ثم اتجهت نحو المطبخ
ذراعيها شاعرة بالبرد، فقد حل الخريف، ولم
بعيداً في هذه المنطقة، واحسن شيء تتناوله في
الصباح البارد هو صحفة من الحبوب المسلوقة مع
والسكر، وبينما كانت تنتظر نضج الحبوب، تعالى
الهاتف. فرفعت السماعة: «آلو.»

صوت يقول لها: «إرحلي.»

له: «النمرة غلط.» ووضعت السماعة، هذا من فعل
ربما يريد رايف ان يحملها على الرحيل، ولكنه
في مجتمع نورث دنواي ومن غير المعقول ان
هكذا.

www.liilas.com

كانت على وشك سكب فنجان القهوة الثاني بعد ان انهت فطورها، عندما سمعت قرعاً على الباب. «هل تلك رائحة قهوة؟» وكانت هذه مساعدتها وصديقتها ميريام وليس التي دخلت وهي تلقي عليها هذا السؤال.

فدعتها جيني لسكب فنجان قهوة لنفسها، وهي تبتسم فقد كانت ميريام هي سبب انتقال جيني إلى منطقة هامبشاير هذه، وكانت الاثنتان قد تعارفتا في نيويورك في معرض للدمى، وذلك منذ خمس سنوات اخذت اثناءها صداقتهما تتنامى مع الزمن. فقد كانت صراحة ميريام وروحها الفكهة خير ما يتناسب مع طبيعة جيني المتحفظة.

عندما انتقلت ميريام وزوجها ماكس إلى هذه المنطقة السنة الماضية، لم تلبث ميريام ان اقنعت جيني بترك شقتها الصغيرة في ولاية كونيكتيكت، وهي تصف لها روعة المكان وكيف يساعد على الابداع، إلى ان جاءت جيني في النهاية في زيارة لهذه المنطقة وسرعان ما وقعت في غرامها، ولم يمر أسبوع حتى كانت إجراءات الشراء قد ابتدأت.

قالت ميريام وهي تسكب القهوة لنفسها: «أرى ان العمال قد ابتدأوا يعملون بتحسين المخزن.»

«أحقاً؟» وكان هذا خبراً جديداً بالنسبة إلى جيني التي لم تر بعد العمال هذا الصباح.

قالت ميريام: «لقد قلت هذا متهكمة، فقد اصبحت الساعة التاسعة دون ان يبدو أثر للعمال.»

«لقد كان السيد غاردنر قد طمأنني إلى انه سيرسل احسن فريق عمال عنده هذا الصباح وذلك في وقت متأخر قليلاً

قالت ميريام وهي ترشف قهوتها: «وهم يأتون متأخرين قليلاً كل صباح، وهذه هي المشكلة.»

«انه يدعي بأنه يتبع المنهاج بالنسبة إلى البناء...»

«الإدعاء اصبح هو الكلمة الفعالة هناك، لقد سبق وخبرتك ان عليك ان تدفعيهم للعمل بنفسك.»

فابتسمت جيني: «اتعنين كما كنت ادفعك؟»

«هذا غير صحيح، فانت لم تكوني قط بحاجة إلى دفعي للعمل، فقد بطبيعتي عاملة مجدة، وليس كل شخص آخر مثلي.»

«ساهتم بملاحظة العمال، فإذا لم يحضروا إلى العمل الساعة العاشرة، فسأبلغ المقاول السيد غاردنر.»

«هذا أحسن.»

حملت جيني فنجان قهوتها واتجهت إلى غرفة الطعام الفسيحة والتي تستعملها مكتباً بصفة مؤقتة، كان في الغرفة جهازا كمبيوتر وكذلك جهاز فاكس، وآلة تصوير ومطبوعات وصناديق أوراق، ومنذ ان تعهد العمال بإنهاء العمل في الجدران الداخلية للمخزن، ذلك الأسبوع، فهي لم تستعمل المكتب الذي هناك إلى حين انتهاء العمل، هذا إلى انها لم تكن تريد ان يقوم جارها الجذاب بأي خطة مرتجلة اثناء زيارته لها الليلة الماضية.

وسألت ميريام قائلة: «هل سألت عما إذا كانت شحنة الفاصل قد وصلت؟»

«لقد اخبرني المتعهد بأنه شحنها منذ أسبوعين، وسيرسلون شحنة أخرى.»

«هذا حسن، فليس بإمكاننا ان نصنع شيئاً بدون تلك الأجزاء، ثم هل اهتممت بإنجاز أوراق الجدد؟»

www.liilas.com

فأومأت ميريام: «نعم، لقد اهتممت بكل شيء.»

«هذا عظيم.» ذلك انه مع خمسة موظفين جدد، بإمكا
جيني ان تزهو بستة موظفين تحت إمرتها، ثلاثة منهم
سيعملون في المخزن، اما الاثنان الآخران فهما من الأمه
لأطفال صغار ما يجعلهما يقمن بعملهما اليدوي في البي
لقد كانت والدة جيني مرغمة على الخروج من بيتها
تعيل أولادها، ولهذا كانت مسرورة لمساعدة هات
الوالدتين على البقاء في البيت مع أولادهما الأطف
وتابعت اسئلتها: «وماذا بالنسبة لتلك الطبات...» ولكن قر
على الباب قطع عليها كلامها.

فسألتها ميريام: «هل تتوقعين أحداً؟»

هزت جيني رأسها قائلة: «ربما هو الرجل الذي يحض
بوالص الشحن المفقودة.»

قالت ميريام وهي تميل في كرسيها لتنظر من خ
الزجاج الذي يؤلف ثلثي القسم الأعلى من الباب الأما
«كلا، انه ليس ذلك الرجل، الا اذا كان انكمش جسمه عما ك
عليه في آخر مرة رأيته فيها.»

فتحت جيني الباب وإذا بسيندي واقفة عنده، وقد حم
بين ذراعيها اكثر الدببة، التي رأتها جيني في حياتها قذار

قالت لها سيندي وهي تلهث: «بروزر بحاجة إلى اصلا
لأن فيه فتقاً كبيراً حتى اصبح داخله خارجاً.»

«هذا ما أراه.»

«لقد أراد جدي ان يلقي به في القمامة، ولكنني انقذت
هل يمكنك اصلاح بروزر؟»

«حسناً، من المفروض ان احاول.» ومع انها كانت

مشغولة بهذا العمل، فقد كانت جيني قرأت عدداً من الكتب
حول موضوع (كيف تصلح الدببة؟) حتى انها انقذت بعض الدببة
في مستديق القمامة بنفسها.

رفعت سيندي الدب على ذراع واحدة بحذر، ثم دست يدها
الحرى في جيب بنطلونها الجينز، ثم اخرجت ملء يدها من
النقود الصغيرة وهي تقول: «هذه كل النقود التي لدي الآن.»
ثم مدت يدها تعرض عليها عدة قطع من النقود: «هل تكفي
لعملية اصلاح بروزر؟»

نظرت جيني وهي تغلق راحة سيندي الصغيرة على قطع النقود ثم
أعادتها إلى الجيب: «أنا لا اريد نقودك يا سيندي، فاحتفظي بها.»

سألت ميريام وهي تلحق بجيني إلى الباب الأمامي: «من
هو هناك؟»

أجابت سيندي: «انه بروزر وانا سيندي.»

فسألتها ميريام: «هل هذا الدب لك؟»

هزت سيندي رأسها: «كلا، فهو كان دب والدي منذ مئة
سنة عندما كان طفلاً.»

«مئة سنة؟ لقد سمعت هذا، يا طفلتي.» تمتم رايف بهذا
وهو يقف بجانب طفلته على عتبة باب جيني: «ما الذي
جاء بك هنا فتزعجين الآنسة بنجامين أول هذا الصباح؟
ألم أطلب منك ان تبقي في البيت.»

«لقد أتيا والدي، ولكنني جئت لأن جدي عثر على بروزر في
المستودع الذي في المخزن، وكان جدي يبحث عن البحرية.»

فسألها رايف: «يبحث عن ماذا؟»

«عن البحرية، انها تلك التي كان يرتديها عندما كان
يعمل في السفينة الكبيرة، كما تعلم.»

www.liilas.com

قال رايف: «آه، بذلته الرسمية البحرية.»

فأومأت سيندي: «نعم، ولكنه لم يجدها ولكنه و
بروزر، وكان يريد ان يلقي به في القمامة لأن داخله ك
متساقطاً، ولكنني لم استطع ان أدعه يفعل ذلك، يا والد
لقد طلب بروزر مني ان اساعده ولهذا احضرته إلى جيني

فقال يصلح لها جملتها: «بل إلى الآنسة بنجامين.»

فقالت جيني: «لقد كنت قلت لسيندي بأن بإمكانها
تخاطبني باسمي.»

سألتها سيندي: «هل بإمكان والدي ان يدعوك جيني أيضاً

«نعم.»

«ويمكنك انت ان تدعيه رايف.» ومالت إلى الأمام تن
اليها قائلة: «ان هذا اسمه.»

مضت لحظة صمت كانت جيني اثناءها تنظر إلى رايف الـ
كان يرتدي بنطلون جينز وكنزة، ورأت شعره مبللاً ومسر
إلى الخلف وكأن خرج لتوه من تحت الدوش، وكانت ذقنه غ
حليقة. وكأنما لاحظ نظراتها فمد يده إلى وجهه قائلاً: «آس
لهذا، ان سيندي لم تدع لي وقتاً للحلاقة، بخروجها من البيت
والتفت إلى ابنته: «و انت يا صغيرة عصيت الأوامر.»

قالت سيندي ضارعة: «هذا فقط لأن بروزر بحاجة إ
جراحة مستعجلة، فانا لم أشأ ان أدعه يموت كما ماتت والدتي

رأت جيني سحابة ألم تعبر عيني رايف، وهذا إلى تو
في فكه أدركت جيني منهما مبلغ العذاب الداخلي الذي أح
به لسماعه كلمات ابنته.

عادت سيندي تقول بلهجة غير واثقة: «هل ما فع
صواب، يا والدي؟ ألست غاضباً مني؟»

حنى رايف يحتضنها: «كلا، انا لست غاضباً لأنك
ولت مساعدة بروزر، ولكن ما كان لك ان تعصيني عندما
مرتك بأن تبقي في البيت، وأيضاً ما كان لك ان تزعجي
سة بنجامين في الصباح الباكر.»

قالت جيني تطمئنه: «انها لم تزعجني، فقد كنت انا
ميريام، نتهيأ لتوّنا للشروع في للعمل، ولكننا لم نكن
نا بعد في الواقع.»

سألتها سيندي بفضول طفلة في الخامسة: «وأين
لان؟»

نا نعمل حالياً في غرفة الطعام، ولكن عندما ينتهي
لاح المخزن، سننتقل إليه.»

نك تصنعين دببة، أليس كذلك؟»

هذا صحيح.»

التفتت سيندي إلى والدها قائلة: «انها تصنع دببة، يا
دي.»

أجاب: «هذا ما اخبرتني به الليلة الماضية.»

سألت سيندي بسرور ودهشة وهي تنقل نظراتها بينهما:
هل كنت مع والدي على موعد الليلة الماضية؟»

أسرعت جيني تقول: «كلا، لم نكن على موعد.» وكانت
تلك النظرة الفضولية التي رمقتها بها ميريام. وإذ كانت
رف المرأة جيداً فقد توقعت منها ان تسألها فيما بعد عن
سة كاملة.

عادت سيندي تسأل: «ولماذا لا؟»

لأن...» وسكتت جيني لا تعرف ما تقول، لكن رايف
ع يقول وقد سرته حيرة جيني: «نعم؟ لماذا لا؟»

www.anbaa.com

رمقته هذه بنظرة ضيق: «اخبرها أنت.»

عند ذلك قال لابنته: «اننا لم نذهب في موعد بعد، ولكن سنذهب في وقت قريب جداً.»

قالت سيندي بابتسامة عريضة تنبىء برضائها: «هذا حسن لأنني احب جيني، وانت تحبها أليس كذلك يا والدي؟»

«هذا صحيح، يا حبيبتي.»

فسألته: «ومتى ستخرجان في موعد؟»

حول رايف سؤال ابنته ضاحكاً، إلى جيني: «ومتى سنخرج في موعد؟»

فتمتمت تقول: «ربما في سنة (٢٠٠٠).»

قالت سيندي: «هذه مدة طويلة، وساكون حينذاك كبيرة السن، كما انك ووالدي ستكونان عجوزين.»

قال والدها بحدة: «شكراً يا طفلتي.»

وكانت نظرة الأسى التي تبادلها مع جيني هي التي دخلت اعماقها اكثر من أي شيء آخر، فقد كان من الصعب عليها ان تقاوم رجلاً يضحك من نفسه، وإذ احس رايف منها لحظة الضعف هذه، قال: «ما رأيك في الذهاب معي ومع سيندي في نزهة طوال النهار يوم الاثنين؟ ان المطعم يقفل في ذلك اليوم، وسيندي لديها عطلة، ان بإمكاننا ان نخرج بعد الظهر فنصعد إلى جبل واشنطن أو أي مكان آخر.»

كان على جيني ان تقول بأدب كلا، انما بحزم، وكانت على وشك قول ذلك عندما رأت نظرة اللهفة والتوقع في عيني سيندي. كان يوم الاثنين، في العادة، يوم عطلة بالنسبة إليها، ولكن عملها لن يستقر فعلاً قبل اسبوعين وبإمكانها اثناء ذلك ان تأخذ عطلة بعد الظهر، خصوصاً

وهي تعمل حتى اثناء العطل الأسبوعية في وضع تصاميمها، وابتدأ صبر الطفلة ذات الخمس سنوات في النفاد إزاء صمت جيني، واخذت تربت على يدها تستجلب انتباهها وهي تسألها: «الا تحبين والدي؟» وماذا كان بإمكان جيني ان تجيب بسوى: «طبعاً احبه...»

فقال رايف: «هذا حسن، إذن فسنأتي لأخذك الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح الاثنين. ونحن سنحضر الطعام، إلى اللقاء إذن، هيا بنا يا طفلتي، فقد حان وقت العودة إلى البيت.»

وضعت سيندي بروزر بين ذراعي جيني ثم أسرعت خلف والديها تاركة جيني مستغربة كيف انتهت بالموافقة على الذهاب للنزهة معهما، انها لم توافق في الحقيقة مرغمة ولكن هذا لا يعني ان رايف لم يكن ملحاحاً إلى ان نال ما يريد.»

قالت ميريام بابتسامة عريضة: «من هو ذلك الخيّال الذي دخل إلى هنا؟»

«انه جاري.» واغلقت جيني الباب قبل ان تضع بروزر بعناية على المنضدة الخشبية السميكة.

فقالت ميريام متنهدة: «لا يوجد جيران كهذا عند آخر الغابة حيث نسكن.»

«لا تدعي ماكس يسمعك تقولين مثل هذا الكلام.» وكانت جيني تشير بذلك إلى زوج ميريام منذ ثلاثين عاماً.

أجابت ميريام: «نعم، انني سعيدة في زواجي، ولكنني لست ميتة، والميت وحده لا يلاحظ رجلاً مثل هذا...»

فقاطعتها جيني محذرة: «ميريام...»

فقالت المرأة: «كنت فقط أريد ان اتحدث عن عينيه.»

www.liilas.com

«هذا صحيح طبعاً.»

«كما انني احب الذقن غير الحليقة... فهذا يعطيه مظهر بريئاً... انك تفهمين ما أعنيه.»

كان بامكان جيني ان تخبرها بأن رايف يبدو بريئاً حتى ولو كان حليقاً، ولكنها بدلاً من ذلك، قالت: «لا تأخذي فكرة خاطئة، فما هو سوى والد سيندي.»

«منذ متى ماتت زوجته؟»

«ماتت منذ ان كانت سيندي طفلة رضيعة.»

«يا له من مسكين.» لكن نظرة العطف في عينيها سرعان ما حل مكانها نظرة متأملة وهي تومىء راضية: «إذن فجارك أرمل وسيم ووالد الطفلة صغيرة، ان هناك امكانيات مؤكدة.»

«انه مهتم فقط بما أملك، صدقيني.»

بدت الدهشة على ميريام: «ماذا قلت؟»

«انك سمعتني، فقد جاء إليّ الليلة الماضية عارضاً علي الشراء وذلك ليتمكن من توسيع مطعمه.»

«وماذا قلت له؟»

«رفضت ذلك.»

«حسناً، ولكنه يبدو مهتماً بك أنت.»

فتمتمت جيني تقول: «قد يكون يحاول اجتذابي لكي يجعلني أوافق على البيع.»

«اذا كنت تظنين ذلك، فلماذا وافقت على الخروج معه؟»

بدا الضيق على جيني: «انني لم أوافق تماماً.»

«ولكنك لم ترفضي.»

«لم أشأ ان اخيب مشاعر سيندي.»

«هذا نبل منك.»

«كنت فقط أتوخى الرفق بها.»

قالت ميريام بابتسامة ساخرة: «هذا صحيح طبعاً، فأنت فتاة رقيقة الاحساس جداً، رقيقة ونبيلة.»

ردت جيني بحدة: «حسناً، فلنعد إلى العمل.»

• • •

قبل يوم الاثنين بسرعة، بالنسبة إلى جيني، وقد كانت فكرت عشرات المرات في الاتصال بالمطعم وترك رسالة لرايف بإلغاء الموعد. ولكن ذكرى تلك النظرة في عيني سيندي منعتها من ذلك، لم يكن قلبها ليسمح لها بأن تسبب لطفلة خيبة أمل.

حدثت نفسها بأنه لن يعدو ان يكون لمرة واحدة، فماذا سر هذا؟ إلى انها ستستغلها فرصة للراحة، فقد عملت يوم العطلة الأسبوعية في وضع التصاميم كما انها ابتدأت في اصلاح بروزر، دب رايف.

عندما اخذت تعمل في اصلاح انني بروزر، ذلك الصباح، حاولت ان تتصور أي نوع من الأطفال كان رايف. مشاكساً بلا شك، أتراه ولد كذلك أم اكتسب شخصيته هذه فيما بعد؟ وهل نشأ مع أخوة، ام انه وحيد أبويه مثلها؟ ولكنها ما لبثت ان تذكرت ان ليس من الحكمة بالنسبة اليها، ان تهتم بهذا الشكل بجارها الوسيم، وكانت شبه راجية ان تمطر السماء في النهار فيكون ذلك عذراً لعدم الخروج، ولكن الجو بدا صحواً مشمساً واعداً بيوم جميل.

وحيث كانت ستخرج للنزهة فقد كان عليها ان تقرر ما

www.liilas.com

ترتديه، وتذكرت ان رايف وسيندي سيكونان هنا بعد اقل من ساعة.

أخيراً ارتدت بنطلوناً اسود وكنزة زرقاء طويلة، وكانت هذه كنزتها المفضلة.

وبعد عدة محاولات في تنظيم شعرها، من جمعه فوق رأسها بشكل ذيل حصان، إلى تسريحه إلى الخلف، انتهت بأن وضعت شريطة مخملية خلال شعرها، فهذا على الأقل يمنع شعرها الطويل من التهدل على وجهها.

في الوقت المعين كانت جيني جاهزة تماماً، ولكن الساعة الحادية عشرة جاءت وذهبت دون ان ترى أثراً لرايف أو سيندي.

حدثت نفسها بأنها ارتاحت لذلك، فقد تكون النزهة قد ألغيت، ومع ذلك فقد ظلت تنتظر من النافذة كل دقيقتين، ولكن في الثانية عشرة إلا ربعاً، قرع جرس الباب.

قال رايف يعتذر: «آسف لتأخرنا.»

قالت سيندي: «تأخرنا لأجل بوتز.»

«بوتز؟»

فقال رايف يشرح الأمر: «انها قطتها فقد ضاعت هذا الصباح.»

قالت سيندي: «لكننا عدنا فوجدناها، فهي ماهرة في لعبة الاستخفاء.»

قال رايف بجفاء: «نعم، ماهرة جداً في الاختفاء.»

«لقد خفت ان تكون هربت، ولكنها كانت نائمة خلف الستائر.»

أضاف رايف: «بقرب أنابيب المياه الساخنة، فهي تعرف تماماً ما يصلح لها.»

قالت سيندي تخاطب جيني: «يمكنك ان تأتي إلى منزلنا وتتعرفي اليها، انها لا تخرج أبداً.»

قال رايف يسأل جيني: «هل انت جاهزة للذهاب؟»

فأومأت إيجاباً.

لم تدهش وهي ترى رايف يقود سيارة جيب، وعندما استقرت في مقعدها، تجنبت النظر في عينيه خوفاً من ان يلاحظ مبلغ اضطرابها، وبدلاً من ذلك ركزت بصرها على داخل السيارة، فقد كانت سمعت ان شخصية الرجل تبدو من خلال صيانته سيارته. فمرآته لم تكن غائمة، ولكن رايف على كل حال، كان أرمل ووالداً لطفلة، كان والداً وفرداً مستقراً في دنيا الأعمال.

وإذ رأته يرفع حاجبه وهو يراها مهتمة بما يحيط بها، شعرت بأن عليها ان تقول شيئاً: «انها سيارة جيب جميلة.» وهذا كل ما امكنها قوله.

فقال: «لقد غسلتها هذا الصباح ونظفتها اكراماً لك.»

«ما كان لك ان تزعج نفسك بذلك.»

«كان لا بد من ذلك، فقد كانت النفايات مكومة على المقعد الخلفي بما في ذلك قوائم طعام كنت طبعتها لتوي.» ونظر في المرآة يطمئن إلى ان ابنته، في المقعد الخلفي، قد وضعت حزام النجاة حول جسمها، ثم سألها: «هل أنت مرتاحة يا حلوتي؟»

«نعم يا إبي كيف حال بروزر؟ هل اصبح أحسن الآن؟» قالت سيندي ذلك موجهة الكلام إلى جيني التي اجابتها بقولها: «نعم، ويمكنك اخذه إلى البيت غداً، انك محظوظ إذ انقذت جندي دبك.» وهذه الجملة الأخيرة كانت موجهة إلى رايف.

www.liilas.com

«وما الحظ في ذلك؟»

«لأنه دب من ماركة ستيف.»

«لم أفهم.»

«ان ماركة الدب هي ستيف كما تقول الدمغة في أذنه.»

«هل هذا ما تعنيه؟ عندما كنت طفلاً احضر لي والدي هذا الدب من المانيا في احدى سفراته.»

«هنا أصبح الأمر مفهوماً، لأن دببة ستيف تصنع في المانيا، وعندما يعود اليك الدب بعد اصلاحه، عليك ان تتمسك به حقاً.»

«اتريدين ان تخبريني بأن الدببة تستحق شيئاً؟»

«انها تستحق شيئاً كثيراً، ليس مالياً فقط، رغم ان هذا اصبح المطلب الرئيسي لأكثر الناس هذه الأيام، واظن اوسكار وايلد الذي قال مرة: «الناس هذه الأيام يعرفون ثمن كل شيء، ولا يعرفون قيمة شيء.»

«ما هي القيمة المالية التي نتحدث عنها هنا، بالضبط؟»

«بعض الدمى الدببة ماركة ستيف وصل ثمنها في احد المزادات إلى سبعة آلاف دولار.»

أخذ رايف يصفر من بين شفتيه، بيما اضافت هي تقول «ان تلك الدببة أقدم من الدب الذي لديك بالطبع.»

«حسب قول سيندي، من الصعب ان يكون هناك من هو اقدم مني ومن بروزر.» ولجفل إذ ادرك انه احدث خطأ لغوياً في حديثه، فقد كان في جيني شيء يحمله على الانتباه إلى عدم الخطأ، فهي دون شك، خريجة جامعة.

اما بالنسبة إليه، فقد كان خريج معاهد خاصة حيث نال شهادات في المحاسبة وإدارة الأعمال فهو لم يدخل جامعة قط، إ

لم يكن لديه الوقت أو المال، وربما كان بامكانه متابعة دراسته، ولكنه كان يشعر دوماً بالتململ والضجر في غرفة الصف.

لقد كانت تعلم بواسطة رحلاته حول العالم، اكثر مما كان يمكن ان يتعلمه في أي كتاب مدرسي، وكان قد بدأ اسفاره في سن مبكرة.

كان الأمر يبدو وكأنه منذ أجيال، الآن. ونظر إلى سيندي وهو يستدير بالسيارة خارجاً من طريق المنزل الفرعي. كان قد ابتدأ طريقه من القاع إلى ان وصل إلى اتخاذ مطعم، من الغلام طالب البكالوريا، إلى العمل نادلاً في سفينة، إلى سير مكان في نيويورك، إلى ان وصل أخيراً إلى مكانه الحالي. وكان هذا هدفه الذي أمضى للوصول إليه، مدة طويلة مما يستطيع ان يتذكر، وذلك لكي يمتلك مكاناً خاصاً به ويكون سيد نفسه.

كانت نظرته المشرقة إلى المستقبل تتضمن أيضاً سوزان إلى جانبه، ولكن زوجته ماتت قبل أول ذكرى مولد لابنته. وكانت هناك حماته آلثيا التي لم تقبل به قط صهراً، والتي كانت ترى ابنتها الذهبية كما كانت تلقبها، كثيرة عليه. ومازالت إلى هذا اليوم تلومه لموت سوزان وتعتبره مسؤولاً عن اصابتها بالسرطان الذي أدى إلى موتها، وآلثيا لم توافق على أي شيء يتعلق به، على الاطلاق، بما في ذلك الطريقة التي كان يربي بها سيندي.

جاءه صوت سيندي يقطع عليه افكاره: «والدي، متى نصل إلى هناك؟»

«اننا لم نخرج بعد حتى من طريق المنزل الفرعي، يا حلوتي.»

www.liilas.com

«اعلم ذلك، ولكن متى نصل إلى هناك؟»

قالت جيني: «حتى انا لا اعرف إلى اين نحن ذاهبون في هذه النزهة.»

أجاب رايف: «رأيت ان نذهب اولاً صاعدين إلى حيث واشنطن لكي نتناول غداءنا.»

فقالت سيندي تخاطب جيني: «انني أحب ذلك المكان فهو على قمة العالم.»

مع ان جيني كانت تسمع بذلك الجبل، إلا انها لم تكن تعرف موقعه بالضبط فسألته: «هل هو بعيد من هنا؟»

فهز رأسه: «كلا، بل هو بعد آخر الطريق بقليل، انني أنسى دوماً انك لست من سكان هذه المنطقة.»

«وهل هذا يبدو عليّ؟»

«ليس لديك اللكنة الصحيحة.»

«انني من ولاية كونيكتيكت.»

«آه.»

«ما معنى قولك (آه)؟»

«اكثر اهل تلك الولاية اغنياء.»

فقالت: «هذا صحيح، ولكن أسرتي ليست منهم.»

«لم تكن غنية؟»

«كلا مطلقاً، فقد مات والدي عندما كنت في السادسة وهكذا كان على والدتي ان تعود إلى والديها ثم تخرج للعمل لكي تعيلني، ثم ماتت وانا في التاسعة فرباني جداي.»

سكتت جيني وكأنها أدركت إلى أي حد كشفت ثرثرتها عن حياتها، ورغم ان هذا لم يكن سراً، إلا انها لم تكن معتادة على اخبار الغرباء عن هجران والدها، ورايف ما زال غريباً

بالنسبة اليها. وإن شعرت بالضيق، أسرعت تقول: «اخبرني المزيد عن جبل واشنطن.»

فأجاب: «انه ليس عالياً جداً.»

«ما الذي تعنيه؟ هل سيكون علينا ان نتسلقه؟»

«اننا سنتسلقه بسيارة الجيب.»

«اظن ثمة طريق يؤدي اليه.»

«هنالك طريق بكل تأكيد.»

«انك لا تخافين من الأماكن العالية، أليس كذلك؟»

«لا أدري.»

فقال باسماً: «سنرى.»

ساور جيني احساس بأن هذا شيء من اشياء كثيرة ستكتشفها في هذه النزهة.

www.liilas.com

الفصل الثالث

أشار رايف بيده إلى المنظر البادي من ذروة جبل واشنطن وهو يقول: «هوذا ثاني أجمل منظر في العالم.»

حاولت جيني دون فائدة أن تركز أفكارها على المنظر وليس على أصابع رايف الواقف بجانبها لقد كانت يد الرجل نقطة ضعفها، خصوصاً إذا كانتا يدا فنان.

أثناء الصعود في الطريق المرصوف بالحصى والذي أنشيء سنة ١٨٦٠، اكتشفت جيني أنها لم تشعر بدوار ولا الخوف من المرتفعات... وهذا حسن إذ أنه لم يكن للطريق حواجز وكان شاهقاً إلى حد مخيف. لكن شيئاً واحداً أدخل الخوف إلى قلبها، ألا وهو هذا التوتر الذي أخذت تشعر به كلما كانت بجانب رايف.

لكنها، على كل حال كانت فنانة كما أخذت تذكّر نفسها وهذا يعني أن احساسها بالجمال إنما كان هو شيء طبيعي. لكن المشكلة هي أن اعجابها برايف كان اكثر من العادة.

استقام رايف في جلسته وقال وهو يحمل كنزته بيده: «خذي هذه البسيها، فالجو بارد هنا.»

ما أن لبستها حتى اقفلها عليها وهو يتابع قائلاً: «هذا المكان يرتفع عن سطح الأرض حوالي الستة آلاف قدم، فهو لا يعلو فوق درجة التجمد كثيراً حتى في الصيف.» ثم وضع على رأسها القلنسوة المتصلة بالكنزة وربطها تحت عنقها.

أمسكت جيني أنفاسها متسمرة في مكانها وهي ترتجف من البرد، وإذا بصوت ضحكة سيندي تعيدها إلى الواقع.

نظرت حولها إلى جمال الطبيعة محدقة إليه بإمعان. كانوا الآن فوق حدود الشجر وهكذا لم يكن حولهم شيء يطف من الوحشة بين الصخور الجرداء. وعلى العكس كانت الجبال التي تحيط بهم تنتشر إلى ما لا نهاية.

تمتم رايف يقول برقة: «وجودي هنا دوماً يجعلني ادرك أن هناك عالماً واسعاً ما كنت لأشعر به في العادة.»

انصرف انتباه جيني من المنظر الاخاذ المنبسط أمامها إلى التعبير الحزين الذي بدا على ملامحه. كان حزناً ساهماً متأملاً وجذاباً للغاية. وتساءلت عما عسى أن يكون سبب ذلك. كان ثمة اشياء عميقة في داخل هذا الرجل، ولكن المرأة الحمقاء فقط هي التي تظن أن بإمكانها الوصول اليها، تلك الأشياء بدون معول ومجرفة؛ فقد كان يبدو قوي المشاعر عنيفها.

إنها تعود مرة أخرى إلى أحلام اليقظة. وقد حان الوقت للعودة إلى الواقع، فتفكر في شيء عملي. فقالت: «كنت أنا على صواب إذ توقعت أن تكون الريح قوية هنا. إن أقوى سرعة للريح سجلت في هذه الاعالي هنا هي مئتان وواحد وثلاثين ميلاً في الساعة، وهذا تسجيل عالمي.»

سالها بابتسامة بطيئة: «وكيف يمكنك ملاحظة الريح.»

«يمكن أن يشعر المرء بالشيء حتى ولو لم يره وفي الواقع، هي احياناً اشد القوى الطبيعية على الاطلاق.»

«هل يمكننا الركوب بالقطار، يا أبي؟»

لقد قاطعتهما سيندي مرة أخرى وهذا ما ارتاحت له

www.liilas.com

جيني. فقد كانت بحاجة إلى التخلص من قوة نظرات رايف المغناطيسية.

فقال رايف لابنته: «كلا، إن القطار لا يعمل حالياً.»

قالت جيني: «لم أكن اعلم أن القطار يصعد إلى هنا.»

«إنه اقدم طراز من القطارات في العالم.»

«وهل ما زال يسير؟ هذا عجيب إنني واثقة من أنهم لم يعودوا يصنعون القطارات بهذه القوة.»

«من النادر أن تدوم الأشياء طويلاً هذه الأيام.» قال ذلك وقد اظلمت عيناه ما نكرها بسحابة تحجب وجه الشمس. وتساءلت عما إذا كان يفكر في زوجته وكيف أن سعادتهما لم تدم ورأت نفسها تتساءل عما إذا كانت تريد أن يكون لديها من يحبها بهذا الشكل. وإذ تملكها الضيق لهذه الأفكار اسرعت تهبط السلم الخشبي الطويل الذي يؤدي إلى موقف للسيارات. فقد شعرت فجأة بدوار لم تعرف سببه. ربما كان الارتفاع، وربما لأنها لم تتناول الافطار.

أمسك رايف بذراعها وهو يقول: «حذار، إننا لا نريدك أن تقعي سواء على درجات منزلك الخلفية الواهنة، أو على هذا السلم. إنك مجازفة جداً بالنسبة إلى السلالم. أتعرفين هذا؟»

أومأت برأسها. فهذا حظها من الحياة. بينما كانت النساء الاخريات مغريات، كانت هي مجازفة. فهي ليست من نوع النساء الجذابات للرجال. لم تكن كذلك قط، ولن تكون. فهي فتاة عادية تماماً أو هذا ما كان يقوله لها كل شخص ابتداء من طبيب اسنانها إلى آخر صديق لها.

كلا، إنها ليست من النوع الذي يجذب انتباه الرجال ولهذا لا بد أن يكون هناك شيء آخر دفع رايف إلى أن

يحاول اجتذابها. ولا بد انها املاكها التي يهتم بشرائها. كل هذا الاهتمام الذي يبديه رايف نحوها هي طريقته في ادعاء الحب لها لكي يجعلها توافق على بيعه املاكها. وعليها أن تكون من الحكمة بحيث لا تقع في الفخ.

عندما استعادت توازنها، ابتعدت عنه: «إنني لم اتناول إفطاري وهذا ما جعل الدوار يتملكني لحظة. هل سنأكل هنا؟»

فقال: «كلا، فأنا أعرف مكاناً اكثر راحة.»

كان المكان المريح الذي تحدث رايف عنه هو بين مجموعة أشجار بعيداً عن الطريق الرئيسي المؤدي إلى المدينة. وكانت أوراق الشجر بألوانها الصفراء والحمراء تمثل سقفاً ملوّناً فوق البقعة التي بسط رايف عليها لحافاً قديماً وكان الخريف هو الفصل المفضل في السنة لدى جيني. فقد كانت تعتبر بساط الأعشاب الذي كانت الطبيعة الأم تعرضه في هذا الفصل، هو البداية وليس النهاية.

عندما جلس رايف وسيندي معاً متقاربين، وهما ينظران معاً في جوف سلة الطعام الواسعة فتن منظرهما هذا جيني، وشعرت بذلك الفراغ المؤلم في قلبها والذي يتملكها كلما رأت رجلاً هو والد لطفلة صغيرة. وقد اخذت ما يكفي من الدروس في علم النفس وكذلك الكثير من الكتب في هذا الشأن ما جعلها تعلم بأن هذا الشعور يعود إلى افتقادها والدها في طفولتها وكذلك أثناء نموها.

كان جدها رجلاً فظاً خشناً لا يعرف كيف يلاطف طفلة فهو لم يكن من النوع الذي يعرف المحبة.

لكن رايف كان مع سيندي مليئاً بالمحبة. وكان هذا مرتسماً على ملامحه كلما نظر إلى ابنته والزهو والحب

www.liilas.com

يطلان من عينيه. وكذلك الهزل وكان بإمكان جيني أن ترى مبلغ استمتاعه بكونه والداً.

«آه، يا أبي انظر. لقد وضع هوغو في السلة جبناً ذا رائحة عفنة.» وبدا الاشمئزاز على ملامح سيندي وهي تقول ذلك.

قال رايف يفسر الأمر لجيني: «هوغو هو الطاهي عندي وهو يظن أن أية وجبة لا تكتمل إلا بنوع من الطعام الفرنسي حتى طعام النزهة مع أن شطائر «الروستو» وزجاجة المياه المعدنية يكفي تماماً بالنسبة إليّ.»

قالت جيني: «ألم تفكر في أن تخبره بذلك؟»

أجاب: «على الدوام، ولكنني أعود فأسكت فهو متوتر الأعصاب قليلاً ولكنه أمهر طاهي لعين في الولاية.»

فهتفت سيندي: «لقد تلفظت بكلمة سيئة يا أبي، إنك إذن مدين لي ببنس.»

قال مخاطباً جيني بأسف وهو يبحث في جيبه عن بنس: «في البيوت التي تحوي رجالاً، يجب أن يكون هناك رادع ضد الشتائم.»

قالت سيندي بزهو: «لقد حصلت من جدي منذ أيام على خمسين بنساً.»

فقال رايف وهو يناولها البنس: «إنه يتحسن الآن.»

أومأت سيندي موافقة: «هذا صحيح فقد اعتاد في البداية أن يناولني دولارين.»

قالت جيني باسمة: «يبدو أن سلوكه ممتاز.»

فقال رايف: «نعم، ان سلوك والدي على ما يرام.»

«انظر يا أبي إلى سلطة البطاطا التي صنعها سيبود. إنها المفضلة عندي.»

تذكرت جيني أن سيندي كانت أخبرتها بأن سيبود كان يعمل في البحرية مع جدها، وكان طاهياً في نفس سفينته وقد التحق بخدمة الأسرة عندما تقاعد الجد.

وكانت سيندي تقول: «هوغو وسيبود يتشاجران طوال الوقت فيصبح وجهيهما بحمرة الطماطم. إن سيبود يضع وشماً ولكنه ليس كبيراً كالوشم الذي على ذراع جدي. ولكنه يمثل حية وليس امرأة كوشم جدي. يجب أن تريه.»

فقالت جيني: «هذا رائع.»

سألتها سيندي: «ما معنى كلمة رائع؟»

أجابت جيني: «معناه حسن. الأفضل.»

قالت سيندي: «أظنك رائعة أنت أيضاً. ألا تظن ذلك أنت أيضاً يا أبي؟»

«طبعاً.»

كانت جيني تعرف شيئاً واحداً رائعاً، وهو تأثير رايف عليها. كان جالساً بعيداً عنها بما يقرب المتر، ولكنه لم يكن يحاول أن يستر تأدباً نظرات الاعجاب التي كان يرمقها بها، كانت نظرات استحسان صريحة إنما بعيدة عن سوء الادب ولم يسبق قط أن نظر إليها أحد بهذه الطريقة.

قالت له سيندي: «إنك لا تأكل يا أبي. ألست جائعاً؟»

أجاب رايف بصوت رقيق وعيناه على جيني: «بل أكاد أموت جوعاً.»

فتمتمت جيني تقول بلهجة تحذير: «إنني لست في قائمة الطعام.»

أجاب: «لم أقل ذلك قط.»

«كلا، ولكنك كنت ترمقني بنظرات جائع إلى آخر وجبة طعام.»

www.liilas.com

«ان لك مخيلة خصبة، ولا بد انها تنفعك في عملك.»

«قد تكون لي مخيلة خصبة، ولكن قدمي الاثنتين ثابتتين على الأرض. كما انني عملية للغاية.»

«أحقاً؟»

«نعم، كما انني لست من النوع الذي يمكن ان تغلبه مشاعره.»

«ربما لم تصادفي الرجل المناسب الذي يمكنه ان يجعلك كذلك، اتريدين بهارات؟»

نظرت اليه دون ان تفهم: «أرجو المعذرة؟»

فرفع الطبق: «اعني الروستو، يوجد هنا بالبهارات وبدونه، ما الذي تفضلين؟»

«من دون بهارات.»

«ظننت هذا، اما بالنسبة إلى الخبز، فعندنا خبز عادي وطبعاً خبز فرنسي.»

«الخبز الفرنسي من فضلك.»

«هل تريدين مايونيز أو مسترد عليه؟»

«الاثنين.»

فرفع حاجبه: «وطماطم؟»

«نعم، شكراً، وكذلك شيئاً من الخس.»

ومدت يدها تتناول منه الطبق، وإذ رأى اصبعها مجروحاً قطب حاجبيه: «ما الذي جرى لاصبعك؟»

«آه، لقد وخزته بالإبرة.»

ارتجفت وهي ترى النظرة الطويلة الحافلة بالمشاعر التي رمقها بها، ولكنها سرعان ما اخذت تذكر نفسها بأنها تعرف ما الذي يريده منها، انه ما تعلك، وطالما وضعت ذلك

ذهنها، فان بإمكانها ان تجلس مستمتعة بمراقبته وهو حول إيقاعها في شباكه.

وهكذا عندما سار بها إلى بيتها أخطأ فسار في الطريق المؤدي إلى بيته، لم تدهش وهو يدعوها إلى الدخول. فأجابت: «كلا، شكراً، فان لدي بعض الأعمال عليّ انجازها.»

«اذا كنت واثقة...»

«واثقة تماماً.»

«إذن فسأسير معك إلى بيتك. ادخلي إلى البيت يا سيندي، حيي وأري جدك أوراق الشجر الجميلة التي وجدتها.»

هنا بينما أخذت جيني تفكر في مدى مهارته، فهو لم يكن يريد ان تبقى ابنته معهما بمثابة مراقبة. «أراك تبتسمين.»

قال ذلك وهو يعود للسير بجانبها.

فأجابت شاعرة بالتوتر: «أحقاً؟»

قال: «لقد كنت كذلك، اما الآن فانت أرنب مذعور.»

فجست ونظرت اليه باستياء: «شكراً، ألم يخبرك أحد قط شيء عن طريقتك في الكلام؟»

«كلا، ولكن امرأة ملتهبة العينين وتحمل دباً ضخماً بين ذراعيها قد اتهمتني مرة بأنني غير اجتماعي.»

«هل لديك طريقة في جعل الناس يفعلون ما تريد. مثل ان تأتي معك اليوم للنزهة.» قالت له ذلك اثناء صعودهما الدرجات إلى بابها الرئيسي.

فقال: «هيا، اعترفي بأن نهارنا لم يكن سيئاً.»

«كلا، لم يكن سيئاً... ولكن هذا لا يجعلني أغير رأيي في البيع لك.»

www.liilas.com

فقال يحذرها قبل ان تغلق الباب في وجهه: «انني
اتخلى عن المحاولة.»

أخذت تتساءل، يتخلى عن أية محاولة؟ محاولة اغرا
بالبيع؟ أم مجرد الإغراء؟

• • •

«كيف كان موعدك معها، يا ولدي؟» سأله والده حا
دخل إلى غرفة الجلوس في شقتهما فوق المطعم.

فقال رايف باختصار: «ممتاز.»

«انني أرى صباغاً احمر على وجهك.»

«انني لم أعد غلاماً في السابعة عشرة، يا والدي.»

«اعرف هذا، فانت قد اصبحت والداً لطفلة تكثر
الأسئلة، لقد عادت تسأل مرة أخرى من أين يأتي الأطفال

فتأوه رايف: «وماذا قلت بها؟»

«لقد ألهيتها بنكتة... وعلى كل حال، نجحت في
حالياً، ولكن ربما تعود إلى القاء اسئلة قد لا ترغب انت
الإجابة عليها.»

كان رايف يعرف كل شيء عن الاسئلة التي لا يرغب
الإجابة عليها، فهو نفسه لديه الكثير منها، مثل لماذا
لجيني مثل هذا التأثير على نفسه؟ ولماذا تثير فضوله
هذا الحد؟ ولماذا لا يستطيع مقاومة التحدي في عينيه

لم يكن رايف يستطيع ان ينسى كيف اخلف ميلر العج
وعده له ببيعه الأملاك، ولم يكن رايف من الغرور بحيث يظ
ان بإمكانه بشيء من الغزل والتحبب، ان يجعل جيني توا
على البيع له، كل ما فكر فيه هو انه إذا استطاع توص

عرفته بها، فقد يستطيع اقناعها، وبعد، ان بإمكانها ان
تضع الدبية في أي مكان، بينما هو لا يستطيع توسيع
نعمه إلى أي مكان آخر.

كان واضحاً، على كل حال، ان جيني كانت تدرك ما
نفسه وهذا ما يفسر، دون شك؟ ابتساماتها المتهكمة له
خلال النهار.

كان من الممكن ان يعتبره يوماً كغيره من الأيام، ولكنه لم
يستطع. فالحقيقة هي ان جيني بنجامين قد ايقظت في
نفسه جزءاً كان قد ظن انه مات مع سوزان، لقد أثارت كوامن
نفسه وانتباهه كما لم تفعل امرأة أخرى، انه ليس حباً...
لا يمكن ان يكون كذلك، ومع ذلك فقد استمتع بمزاحهما
بشكل لا يوصف، وكذلك بالمعركة التي دارت بين
الاثنين.

وتمتم يحدث نفسه: «انها ذات إرادة قوية ولكثر عناداً
مما كنت اظن.»

سأله والده: «من هي؟»

«جارتنا الجميلة.»

«تعني انك تجد صعوبة في اجتذابها؟ معنى هذا انها
المرة الأولى التي لا تتمكن فيها من نيل ما تريد، ولكن انتبه
لي انني لا اعني ان ثمة امرأة سلمتك ما تريد على طبق من
فضة، لقد ربيتك على ان تكافح لأجل ما تريد، ودوماً كنت
تحصل على ذلك بعد ان تكافح لأجله.»

قال رايف بمرارة هادئة: «ليس دائماً، فأنا لم أشأ ان
أفقد سوزان.»

«اعلم ذلك، كما انك بذلت غاية جهدك لكي تحصل سوزان

www.liilas.com

على افضل رعاية ممكنة، بالرغم مما كانت والدتها المج
تقوله، لقد عادت تلك المرأة إلى الاتصال أثناء غيابك.»

«وماذا قلت لها؟»

«قلت انك غير موجود وانك خرجت للنزهة مع ابنتك
حاولت ان تملأ اذني بإحدى محاضراتها المتع
وكأنها خبيرة في تربية الأطفال، ولا شك ان الذي
سوزان بمثل تلك الرقة والعذوبة هو ان التي انشأتها
مربية، وليست والدتها الخبيثة تلك.»

«معك حق.»

«ولكن سوزان، بكل عذوبتها، لم تعد معنا، فقد
على رحيلها اكثر من أربع سنوات، الآن، وقد حان
لمتابعة حياتك، يا ولدي، وهذا هو السبب لابت
بخروجك مع النساء مرة أخرى. فانت لم تخرج كثيراً
وعلى كل حال، ربما وجدت الفتاة التي...» وتلاشى
إزاء النظرة الغاضبة التي رمقه بها رايف وهو يقول
كاد موت سوزان يدمرني، واننا لا اريد ان اتعرض مرة
لمثل تلك المعاناة، يا والدي.»

«ان حظك مع امرأة أخرى تحبها..»

فقاطعه: «انك لا تفهمني، لن تكون هناك امرأة أخر
لأحبها. ان هذا غير ممكن. ولا أريد مزيداً من النقا
هذا الشأن.»

• • •

«اين ذهبت التصاميم، يا ترى؟» اخذت جيني تتمت
وهي تبحث في ادراج المنضدة للمرة الثالثة، ذلك انها

ستطع الإستقرار بعد نزهتها تلك مع رايف، صممت على
توجه طاقتها هذه إلى القيام ببعض العمل.

كنها لم تلاحظ ان ثمة من عبث بتصاميمها تلك وان
ها قد اختفى، إلا بعد ان جلست إلى المنضدة للعمل.
تمتمت شاكية: «لا يمكن ان تكون الأوراق قد نهضت
جت بنفسها.»

طع عليها بحثها صوت الهاتف، وعندما رفعت السماعة
نفد صبرها، اذا بصوت رجل يقول: «ارحلي.»

اذهب إلى الجحيم.» قالت ذلك وهي تلقي بالسماعة
ي متمتمة: «يا لهم من مراهقين اغبياء.» ثم عادت إلى
ث عن تصاميمها المفقودة، «لا استطيع ان اصدق انني
تلك الأوراق، لا بد انها هنا في مكان ما.»

كنها لم تكن موجودة، بحثت عنها في غرفة الطعام حيث
نقلت مكتبها اليها مؤقتاً، وذلك قبل ان توسع من بحثها
شمل الطابق الأسفل من المنزل بأكمله، حتى انها
ت إلى الطابق العلوي تبحث عنها بجانب سريرها لعلها
صعدت بها الليلة الماضية لكي تنظر اليها قبل ان تنام،
ها لم تجدها.

انت جيني تفصل القماش وتصنع الدببة مباشرة،
ها احياناً كانت تستعمل التخطيط لإخراج افكارها، إلى
ود، ولحسن الحظ هذه التصاميم بالذات لم تكن تنوي
ذها، ولكن هذا لم يمنع حيرتها وقلقها لاختفاء الأوراق
الشكل.

انتقلت افكارها إلى رايف.

انني لن أتخلى عن المحاولة.» كان هذا ما حذرها به،

www.liilas.com

وكان صادقاً في كلامه، فقد اخذ يزورها ويتصل
هاتفياً عدة مرات خلال الأيام القليلة التي تلت.

كانت جيني مصممة على إعادة الدب بروزر اليه
اصلاحه، ولكنها كانت تنسى ذلك على الدوام، أهي حالة نف
تعني انها تريد بتمسكها غير الواعي بالدب، إنما تتمسك بر
نفسه؟ كانت تتقلب في سريرها أرقة وهي تفكر في ذلك، وفي
ليلة كانت تقسم ان تحرر نفسها من تأثيره بإعادة ذلك الدب
وفي كل صباح كانت تنسى القيام بذلك، وكانت تجد لنفسها ع
بكثرة مشاغلها هذه الأيام، وكان هذا صحيحاً. كان حير
بشأن رايف وتأثيره عليها لم يكن كافياً، فقد اخذت تواجه أي
مشاكل بالنسبة إلى عملها، فقد بدا وكأن كل شيء كان يت
بشكل سيء، فهناك شحنتان لم تصلا بعد، بينما اخذ يبدو
وكأن اصلاح وترميم المخزن لن يتم إلا بجهد وتعجب.

للمرة الخامسة تسأل جيني المقاول: «هل أنت واثق
ان بإمكانك إنجاز كل شيء في الموعد المعين؟»

فيجيب السيد غاردنر: «نعم.»

«هذا ما قلته منذ خمسة أيام، ولكن العمل لم يتقدم
أكثر مما كان عند ذاك.»

فهز الرجل العجوز كتفيه: «لا يمكنني التحكم في الج
«لقد كان الجو مشمساً طوال الخمسة أيام الماضية
«لقد كانت التنبؤات الجوية تنذر بالمطر.»

«اسمع يا سيد غاردنر، اما ان تنفذ هذا العمل ح
الاتفاق، واما ان لا ادفع لك الأجر.»

فقطب جبينه: «إياك ان تهددني، يا فتاة، لقد كنت
منازل قبل ان تولدي.»

قالت بحدة: «وربما مازلت تبنيها انما دون ان تنهي
حداً منها.»

«إذا كانت طريقة عملي لا تعجبك يمكنك ان تستأجري
شخصاً آخر.»

كانت هي قد تنبأت بأنه قد يتركها في مثل هذه الفوضى،
كان هذا سبب صبرها عليه كل هذه المدة، ولكنها لم تملك
سوى ان تقول: «اذا لم تكن قادراً على انهاء العمل،
ستأجر إذن السيد فادن لاكماله.» وكانت تعلم ان بينه
بين صهره هذا منافسة شديدة، ولمعرفتها بالطبيعة
البشرية، كانت تعلم ان غاردنر لن يدع زوج شقيقته يحصل
على هذا العمل، وكانت على صواب، إذ قال ملطفاً لهجته:
«لا حاجة بك لهذا، يمكنني ان احضر إلى هنا فريقاً كاملاً من
العمال في خلال ربع ساعة.»

«هذا حسن، افعل ذلك وابق في عملك، وإلا فسأستدعي
السيد فادن.»

«انك تعرفين كيف تلعبين دورك، أليس كذلك؟»

«نعم، عندما يستدعي الأمر.»

«لا تقلقي، سأقوم بهذا العمل وإلا فلن يكون اسمي هربرت
غاردنر.»

نظرت اليه متشككة: «كنت اظن اسمك الأول هو هنري؟»

«نعم، اعني هنري.»

«لا اريد ان تتلكأ في المشروع مرة أخرى، يا سيد
غاردنر، وإلا فسأستأجر صهرك، هل هذا واضح؟»

«واضح تماماً.»

«هذا حسن، وانا مسرور لاستقرار الأمر.»

www.liilas.com

وبعد ربع ساعة، كان المكان يموج بالعمال، وعند
عادت إلى البيت، وجدت ميريام تصفق لها استحس
فسألتها: «لماذا كل هذا؟»

«لاستطاعتك اخضاع تلك المقاول عديم الشهامة للقانو
لته بعكس جارك الوسيم ذاك، فهذا شهم يستحق الثقة،
اصبح يتردد عليك كثيراً، في الأيام الأخيرة، أليس كذلك

«لقد سبق واخبرتك...»

«أعلم ذلك... انه مهتم بـ... بما تملكين.»

«لماذا تتملكني الظنون بانك لا تتحدثين عن نفس
الأملاك الذي اتحدث عنه أنا؟»

«لأنني رأيت الطريقة التي ينظر فيها إليك.»

«اتعنين انه يريد ان يهز مشاعري؟»

«اعني نظرته الغامضة المتأملة تلك، ولا بد لي من الق
انها تبدو جذابة منه.»

«انت امرأة لا سبيل إلى اصلاحك.»

«ولكنني على صواب.»

«حسناً، نظرته المتأملة الغامضة تلك تبدو جذابة
وماذا في ذلك؟»

«لماذا مازال يتردد عليك يومياً؟»

«لكي يجنني»

«بالضبط.»

«وبذلك أبيعه ما املك.»

«بالمعنى الآخر.»

«ميريام.» فقالت المرأة بابتسامة عريضة تظهر النق
«لا استطيع منع نفسي من الكلام.»

قالت جيني: «لا أريد الإستمرار في الحديث عن رايف.»
رفعت يدها تدعك جبهتها بعد ان وصل إلى مسامعهما
صوت طرقات العمال في المخزن، وهي تقول: «تلك
الضوضاء تصيبني بالصداع.»

«انها تصيب بالصداع كل انسان.»

«انهم يعملون على الأقل، كنت اتساءل قبل مجيئهم عما
إذا كانوا سينهون العمل في القرن العشرين هذا أم في القرن
التالي.»

قالت ميريام وهي تربت على كتفها: «ولكنك جعلتهم
يفعلون، انها مهارة منك.»

قالت جيني: «ان بإمكاني ان اكونة فظة ساعة أريد، فانا
لا أدع أي رجل أحمق عنيد يؤخرني.»

وجاءهما صوت رايف من عند عتبة الباب الأمامي، يقول:
«هل هي حفلة نسائية خاصة، ام بإمكان أي كان الانضمام
إليها؟ لقد طرقت الباب ولا بد انه لم يسمعني احد.»

أجابت ميريام: «ومن بإمكانه ان يسمع شيئاً مع تلك
الضوضاء هناك؟ انني خارجة لإحضار بعض الأسبرين،
لن أتأخر.»

وهكذا وجدت جيني نفسها وحيدة مع رايف، فقال لها:
«لا ضرورة لهذا الخوف البادي عليك، فانا لن آكلك.»

«لم اكن أبدو خائفة.»

«بل كنت.» وأدارها من كتفيها إلى المرآة وهو يتابع:
«انظري إلى وجهك.»

فقالت بحدة: «لا أريد ذلك.»

نظر إلى وجهها في المرآة قائلاً: «ولماذا لا؟ انه وجه

www.liilas.com

حسن.» وجه حسن؟ هذا ما تحب كل امرأة سماعه، وغض
انفها، فقال: «اتعلمين ان انفك صغير جداً؟»

فقالت ساخرة: «حذار، وإلا دخل اطرافك البالغ
رأسي.»

«وفمك، عندما تضربين بقدمك الأرض، تفعلين
بشفتك السفلى، انظري... انك تفعلينه الآن.»

لكن ما رأته جيني في المرآة كان رايف، ضامراً ج
في بنطلون جينز وكنزة سوداء، وتمنت لو تبقى خفق
قلبها طبيعية وليست متسارعة، كما كانت انفاس
متسارعة هي أيضاً، وقالت: «انني اعرف بالضبط
تحاول القيام به.»

فرفع حاجبيه: «أحقاً؟»

«طبعاً.»

«وماذا تظنينني احاول؟»

«إغرائي.»

«وهل افلحت في ذلك؟»

«كلا على الاطلاق.»

«ولماذا لا؟»

فرددت كلامه ببلادة: «لماذا لا؟»

«اذا كانت اساليبي خاطئة، فيسرني ان تدليني ع
موضع الخطأ فيها.»

«ان اساليبك ممتازة وأنت تعرف ذلك تماماً.»

«ما دامت اساليبي ممتازة فلماذا لم تنجح معك؟»

لكن جيني كانت تعلم انها ناجحة ولكن إلى حد ما، و
تكن مسرورة لهذا.

قد سبق واخبرتك بأنني لست تلك المرأة التي تهزمها
عرها ويجعلها الإغراء تفعل شيئاً لا تريده.»

«وما رأيك في ان يجعلك الإغراء تفعلين شيئاً تريدينه؟»

«انني لن أبيعك املاكي، يا رايف، مهما حاولت
جعلتني معسول الكلام.»

«اتعنين انني لن اصل إلى شيء؟»

«نعم، هذا صحيح.»

وضع اصبعه على النبض المنتفض اسفل عنقها: «وما
تسارع نبضات قلبك هذه؟»

«الغضب.»

«لا، الغضب، تلك شعور قوي، كالشوق... أو الجوع.»

«أو الرغبة.» وتمنت جيني لو قطعت لسانها قبل ان يزل
بهذه الكلمة.

«حقاً؟ اخبريني بالمزيد، لم تكن لدي فكرة في انك كنت
تهتمين بهذه الطريقة.»

«لكنني لا افكر بذلك.»

«كلا؟»

«كلا على الاطلاق.»

وجاءهما صوت ميريام يسأل: «اتراني قاطعت
شيئاً؟» أسرعت جيني تقول وهي تبتعد عن رايف:
«كلا بالطبع.»

قال رايف: «كنت فقط أري جيني نفسها الحقيقية.»

سألته ميريام: «وهل نجح ذلك؟»

أجاب وهو يخرج متمهلاً: «الزمن وحده سيجيب.»

كان المفروض في يوم الأحد ان يكون يوم راحة.. يوم

www.liilas.com

استرخاء، ولكن كان من الصعب على جيني ان تشعر بالراحة أو الإسترخاء وهناك الكثير مما يثير قلقها، هناك رايف وتأثرها به، سلسلة الأحداث المؤسفة مع شركتها، وكان تفضل التركيز على مشاكلها العملية وتجنب موضوع رايف، ولكنها لم تستطع تجاهل احتمال ان يكون الاثنان متصلين ببعضهما البعض.

ولما كان من غير المعقول ان تضطرب الأمور من تلقاء نفسها، فقد الشحنتين، ضياع التصاميم، تأخر اصلاح المخزن... فقد قوى كل هذا من شكوكها في ان ثمة من يخرب عملها، وبهذه الأفكار في رأسها، غادرت بيتها هابطة الدرجات المحطمة امام بابها الخلفي والتي لم يصلحها السيد غاردنر بالرغم من وعده بأنه سيقوم بذلك في أقرب وقت.

«اظنني قلت لك بان تطلبي اصلاح تلك الدرجات.»

كانت جيني تقفز من مكانها، ثم صرخت وهي تضع يدها على قلبها الذي تسارعت خفقاته: «يا ليتك تتوقف عن ذلك.»

«عن ماذا؟»

«عن التسلل بهذا الشكل، ما الذي تفعله في هذه الساعة المبكرة، على كل حال؟ ظننتك مازلت نائماً بعد تلك الليلة الحافلة في مطعمك، الليلة الماضية.»

«أتأخر في النوم؟ يبدو انك لم تعيشي مع طفلة في الخامسة.»

سألته بخشونة: «وماذا تفعل هنا إذن؟»

فقال ببطء: «يالسوء طباع بعض الناس هذا الصباح.»

ردت عليه بحدة: «نعم، وسيسوء طبعك انت أيضاً لو كانت لديك المشاكل التي لدي.»

«وما نوع هذه المشاكل؟»

استدارت تواجهه: «آه، التخريب المنتظم الذي يحدث هنا، وتأثرها به، سلسلة الأحداث المؤسفة مع شركتها، وكان شخص لا تعلم من هو الذي يعرقل الأمور هنا، والذي هو تفضل التركيز على مشاكلها العملية وتجنب موضوع رايف، ولكنها لم تستطع تجاهل احتمال ان يكون الاثنان متصلين ببعضهما البعض.

ولما كان من غير المعقول ان تضطرب الأمور من تلقاء نفسها، فقد الشحنتين، ضياع التصاميم، تأخر اصلاح المخزن... فقد قوى كل هذا من شكوكها في ان ثمة من يخرب عملها، وبهذه الأفكار في رأسها، غادرت بيتها هابطة الدرجات المحطمة امام بابها الخلفي والتي لم يصلحها السيد غاردنر بالرغم من وعده بأنه سيقوم بذلك في أقرب وقت.

«اظنني قلت لك بان تطلبي اصلاح تلك الدرجات.»

كانت جيني تقفز من مكانها، ثم صرخت وهي تضع يدها على قلبها الذي تسارعت خفقاته: «يا ليتك تتوقف عن ذلك.»

«عن ماذا؟»

«عن التسلل بهذا الشكل، ما الذي تفعله في هذه الساعة المبكرة، على كل حال؟ ظننتك مازلت نائماً بعد تلك الليلة الحافلة في مطعمك، الليلة الماضية.»

«أتأخر في النوم؟ يبدو انك لم تعيشي مع طفلة في الخامسة.»

سألته بخشونة: «وماذا تفعل هنا إذن؟»

فقال ببطء: «يالسوء طباع بعض الناس هذا الصباح.»

ردت عليه بحدة: «نعم، وسيسوء طبعك انت أيضاً لو كانت لديك المشاكل التي لدي.»

www.liilas.com

الفصل الرابع

سارت جيني باتجاه المخزن، حيث وقفت تفتح الـ
وهي تتمتم مهددة ذلك الرجل الأسود الشعر، وما ان دفـ
الباب بعنف ودخلت، حتى تسمرت مكانها وهي ترى المكـ
غارقاً في الفوضى، كانت المياه في كل مكان على الأرض
كما كانت تقطر فوق مناضد العمل، مغرقة الصناديق التـ
كانت قد كومتها بجانب الجدار.

وقفت جيني لحظة وقد تملكها الذهول، جامدة
مكانها تنظر إلى الطوفان البادي امامها دون ان تفهم شـ
ومالبثت ان شعرت بشخص خلفها، فأجفلت واستدارت لتـ
رايف واقفاً هناك وقد بدا على وجهه مزيج من القـ
والتشوش، ثم سارع إلى العمل: «اين مكان اقفال الميـ
نبهها سؤاله المقتضب هذا من ذهولها: «الماء لم نجـ
إلى هنا بعد.»

«وماذا بالنسبة للكهرباء؟»

«كان من المفروض ان يأتي عامل الكهرباء غداً لكي يـ
مد الاسلاك، لم ينته شيء بعد، وكان العمال يستعـ
اسلاكاً مستمدة من بيتي، ولكنها غير مثبتة حالياً، انتـ
افهم من أين تأتي كل هذه المياه.»

نظرت إلى رايف الذي قال: «من السطح.»

فرددت بغباء: «من السطح؟»

«ان الماء يتسرب من سقفك.» واشار إلى فتحة

قف يبدو من خلالها ضوء النهار: «بعد المطر الغزير
ي هطل الليلة الماضية، تدفق إلي هنا مباشرة.»

كن السيد غاردنر لم يقل شيئاً عن وجود مشكلة في
ف.» وبدلاً من ان يجيبها، قال: «أمسكي معي جانب هذه
صدة لكي ننقلها إلى جانب قبل ان تتبلل بالماء هي أيضاً.»

تثلت جيني لقوله وعقلها يدور في محاولتها تقدير
ف الذي حدث، لم تعرف ما تنقذه أولاً، ذلك ان صناديق
شة في القعر كانت قد تلفت تماماً.

سمعت رايف يقول: «انها ليست بالدرجة من السوء التي
ر عليه.»

جابت: «كلا، ولكنها ربما أسوأ.» وكان الغضب يغلي
ها وهي تقول ذلك، كيف امكن لهذا ان يحدث؟ كان
ض ان تتسلم المخزن مرمماً وليس خراباً.

ت: «انني سأستدعي الشرطة.» وعندما اندفعت خارجة
خزن، ناداها قائلاً: «إلى أين انت ذاهبة؟»

ي اقوم بشيء كان ينبغي القيام به منذ ايام، ان
ي السيد فادن، واطلب منه استلام العمل.»

ت بعد خمس دقائق لتقول: «انه سيكون هنا قريباً،
يت ميريام كذلك، وستكون هنا مع زوجها ماكس بعد

ن رايف كان قد نقل اثناء غيابها، بعض الصناديق
زالت جافة، وذلك من خطر البلل، إما إلى امكنة أعلى،
ي زوايا المخزن الآمنة من البلل.

لها رايف: «سأتصل بسبود هاتفياً ليأتي
ة.»

www.liilas.com

فقالت: «ما كان لك ان تزعج نفسك بذلك...» لكن صو
سرعان ما تلاشى عندما ادارها لتواجهه وهو يقول:
المؤكد انك لا تظنين ان لي يد في ما حدث، أليس كذ
أصابته النظرة الشاردة في عينيها في الأعماق.
كانت تبدو كالأموات شحوباً، وكان عليه ان يقول شيئاً
أي شيء يبدد تلك النظرة التعيسة من عينيها. «جيني
وقاطعهما وصول فريق العمل الجديد، وبينما اخذ
فادن يوجه رجاله نحو السلالم خارجاً والتي تؤدي
السطح، عاد رايف إلى بيته ليحضر ادوات تنظيف الم
واثناء ذلك جاءت ميريام وزوجها واخذا يساعدان
على فرز الصناديق المبللة، محاولين تخليص ما يم
منها، وكانت ميريام تقول: «قماش الموهير قد تلف تما
ولكنني اظن بامكاننا ان نجفف الأخف تلفاً منها.»
أجابت جيني بلهجة حاولت ان تجعلها مازحة:
اصبحت اكثر تألقاً الآن.»
تناولها رايف ما كان احضره، ولم يستطع بعد ذلك ان
بها، لسوء الحظ، طوال بقية ذلك النهار حيث ان المخزن
امتلأ بالمتطوعين، وجاء سبود، ولكن كان عليه ان يعود
المطعم بعد ساعتين لكي يساعد في تقديم الطعام للز
ولكن رايف بقي حيث هو معتبراً ان بإمكان هوغو وسبو
يؤديا العمل بمفردهما دون ان تقع حرب عالمية... أو ه
كان يرجوه، ذلك ان الحاجة إليه هنا كانت اكبر.
فيما بعد اخذ يحدث نفسه عما اذا كان يظن ان جي
ستجعله محل عطفها، لمساعدته هذه، بينما حسب معر
بها، ربما ستظن ان كل هذا ليس إلا جزء من خطة و

لكي يسبب لها الفوضى بينما يكون هو موجوداً
تاذها، وبهذا ستكون هي من شدة الاعتراف بالجميل
حيث تقبل بما يريده منها، حسناً هذا ما سيحصل وان يكن
يراً للحقيقة لأنه ليس من هذا النوع على الاطلاق.
تراها حقاً تظنه ذلك الشخص الملتوي؟ قطب حاجبيه
و يفكر في ذلك، فهي لم تجب قط على سؤاله عما اذا
ت تظنه سبباً في هذه النكبة التي حدثت لها.
كانت قد عملت طوال النهار دون ان تجلس لحظة واحدة،
ن هو يعلم ذلك لأنه طلب منها مرة ان ترتاح قليلاً فكادت
به، وتلقى نفس النتيجة عندما رجاها ان تأكل شيئاً من
عام الذي ارسله سبود لهم.
كان الظلام قد بدأ يحل الآن، ومعظم المتطوعين عادوا
بيوتهم، وكان فادن وعماله قد رمموا الفجوة في
قف. كما أزالوا أسوأ نتائج التلف، حقاً ان خشب الأرضية
سوّى تماماً، ولكن معظمها لم يكن قد التوى تماماً، وقد
ت جيني من حضور الذهن بحيث اخذت صوراً لكل شيء
ن يبدأ العمل، وبهذا يمكن ان يكون لديها صور تريها
وبي شركة التأمين عندما يحضرون في الصباح.
بعد صدمتها الأولى في الصباح، بقيت هادئة متماسكة
سها بقية النهار، متماسكة لنفسها اكثر من المعقول، كما
ى رايف، ثم ما لبثت نتيجة كل هذا الإرهاق ان بدأت في
ظهور، فقد اخذ يرى ذلك في الجمود الذي بدا في عينيها،
في المرارة المهذبة في صوتها. لا بد انها كانت منهكة
ية، ولكنها لم تظهر أي دلالة على الاستسلام. كما ان
ب لم يبق في وجهها اثراً للون، ما جعلها تبدو كالأموات

www.liilas.com

شحوباً، وأخيراً قال رايف ببطء وهو يأخذ الممسحة من يدها: «هذا يكفي، ولا يمكنك القيام بأكثر من ذلك الليلة. اننا سنقفل هذا المكان ثم تأتين معي إلى المطعم لتتناولي شيئاً من الطعام، انك لم تأكلي شيئاً طوال النهار جعلك معرضة للإنهيار.»

فردت عليه ساخرة: «ها انت ذا مرة أخرى تحاول تدير رأسي بمجاملات زائفة.»

قال وهو يحاول جرها من ذراعها للخروج معه: من غريبة الأطوار.»

لكنها سمرت قدميها على الأرض بعناد وهي تقول: لي مزاج لارتداء ملابس مناسبة لتناول العشاء في وبصراحة انا متعبة جداً.»

«من قال شيئاً عن ضرورة ارتدائك ملابس مناسبة سيكون عشاء خاصاً.» وعندما رمقته بنظرة ارتـ أضاف قائلاً: «سيكون والدي وسيندي معنا كذلك.» و ترددها عاد يقول: «لقد أعد هوغو لنا عشاء فاخراً مع الأناناس.»

قالت: «لا استطيع الذهاب إلى هناك بهذا الشـ

وأشارت إلى بنطلونها الذي كان مثنياً إلى أعلى وهي طوال النهار في تنظيف المكان وتنظيم محتوياته.

فقال لها: «يمكنك ان تسوّي من شأنك وتغسلي ويديك في المطعم.»

فهزت رأسها: «لا أريد ان يراني احد بهذا الشكل.»

«حسناً، يمكننا ان ندخل من الباب الخلفي إلى استراحة الموظفين لتسوية شأنك، هل يرضيك هذا؟»

إلى وجهه انبأتها بأنها ستذهب معه سواء شاءت أم أبت لم يكن سيقبل كلمة «كلا» جواباً.

يكن لديها طاقة على الجدل، هذا إلى ان نقص الغذاء ابتدأ يؤثر عليها ويصيبها بالدوار، وعندما رآها تمتم وهو يأخذ منها المفتاح فيقفل باب المخزن ثم بيدها يقودها نحو بيته، تمتم يقول: «انك بحاجة إلى عناك، اتعلمين هذا؟»

يهتم بأمرها طوال الطريق إلى بيته، حيث أبدى ليساعدها على تنظيف نفسها وتسوية ملابسها إلى ان طردته من الحمام، وإذ نظرت بعد ذلك إلى في المرآة، اعترفت لنفسها بأنها تبدو بشكل أفضل وتملكها السرور وهي تفكر في حصولها على رجل يعتني بها، ذلك انها لم تلمس في حياتها رعاية فجدها لم يكن له صبر على الضعفاء مهما كان وقبله لختفى والدها من حياتها.

تعلم ان ليس عليها ان تعتاد على ذلك، ولكن فقط، سمحت لنفسها بأن تستمتع بدفء ولذة بأن هناك من يعتني بها.

ن انتهت من الغسل وتسوية هندامها، شعرت بقليل من رغم انها تمنت لو ان رايف لم يجرها إلى هذا بمثل هذه السرعة. فقد كانت تحب لو مرت على بيتها لتحضر حقيبة يدها، فهي لا تملك الآن أي شيء من ادوات حتى المشط، ولكن النزاهة ارغمتها على الاعتراف لو كانت فعلاً دخلت بيتها لما قبلت بالخروج منه، إلى الإرهاق البالغ الذي كان يتملكها.

www.liilas.com

عندما خرجت من الحمام، صافحتها رائحة الطعام الشهية والبهارات ما اسال لعابها. كان الحمام قريباً من الباب الخلفي، وإذ لم تكن رأت المطعم من قبل، فقد بهرت لرؤيته بمعداته المصنوعة من الكروم بأسطح بيضاء.

وبالاجمال، كان هناك جو من الضوضاء المنظمة ذكرها جيني بأيام كانت تعمل فيها نادلة في الجامعة.

«ها انت ذي.» قال رايف ذلك وهو يمسك بذراعها يقودها عبر القدور التي كانت تغلي على الفرن الضخم، ثم يقف بجانب رجل يرتدي قبعة الطاهي البيضاء، وكان وجهه في تلك اللحظة يسوده العبوس، وكان شعره أو ما امكنها رؤيته منه من خلال القبعة البيضاء، كان أسود أملس وقال رايف: «هذا هوغو، وهذا مطبخ هوغو.» لم تكن جيني تعرف ما ينبغي عليها ان تفعل، وما اذا كان عليها ان تشكر هوغو لسماحه لها بدخول مطبخه، ولكنها قالت أخيراً: «مهما كان نوع الطعام الذي تطهيه، فان رائحته شهية للغاية، يا هوغو.»

يبدو انها قالت الشيء المناسب، لأن هوغو ابتسم وهو يومىء مسروراً وكأنه اجتاز امتحاناً لتوه، ثم ما لبث ملامحه ان اظلمت وهو يتمتم قائلاً: «انني أبذل غاية جهدي في مثل هذا المكان الضيق.»

وأشار رايف نحو الرجل الأكبر سناً: «وأنت تعرفين سيبود طبعاً.» فابتسم سيبود لها كاشفاً عن سن ذهبية، سألته جيني: «هل الجميع يدعونك سيبود ام هناك اسم آخر تفضل ان اخاطبك به؟»

أجاب: «سيبود هو الاسم الوحيد الذي أجيب عليه، وقد حصلت على هذا اللقب في أول يوم دخلت فيه البحرية، ومن

ثم واجباتي في البحرية احتفظت بعمل تقشير البطاطا، وها انا هنا مازلت اقوم بذلك.» ورفع يداً بحبة بطاطا ويداً أخرى بالمبشرة.

قال هوغو: «ومع ذلك فأنت لا تحسن العمل، فقد تركت أثراً على هذه.» وأشار باشمئزاز إلى حبة بطاطا فوق المصفاة.

فقال سيبود ببشاشة: «لا تبالغ يا هوغو، فالعالم كما تعلم، ليس كاملاً.»

قاطعت شجارهما هذا سيندي بقدومها وهي تهتف بابتهاج ولهفة: «انت هنا... انت هنا.» وبدا السرور عليها عندما انحنت جيني فاتحة ذراعيها بينما سيندي تندفع نحوها تعانقها ثم تجرها من يدها: «تعالي، تعالي انظري الى غرفتي وكل العابي.»

قال رايف: «بعد العشاء يا حلوة، هل غسلت يديك قبل ان تأتي؟»

مدت الطفلة اليه يديها ليفحصهما وهي تقول: «نعم، ألم تسألها بعد؟»

قالت جيني: «يسألني عن ماذا؟»

اندفعت سيندي تقول بسرعة: «هل تصبغين لي اظفاري؟ لا احد هنا يعرف، ان لدي الصباغ وكل شيء.»

فقال رايف: «لقد احضرت اليها جدتها علبة تحتوي على أدوات زينة للبنات الصغيرات، وقد جننتني بإلحاحها علي بأن اصبغ لها اظفارها.»

«أبي يقول ان الأولاد لا يعرفون القيام بهذه الأشياء.»

أجابت جيني: «بامكانهم ان يتعلموا.»

www.inlas.com

«لكنني لا أريد ان يتعلم أبي باظفاري.»

«هذا صحيح.»

قالت سيندي: «هل تفعلين هذا إذن لأجلي؟»

«بكل تأكيد.»

عاد رايف يقول: «بعد العشاء.»

قالت الطفلة بنظرة إغراء: «اذا كانت اظافري مصبوغ فسأكل اكثر يا أبي.»

هز رايف رأسه حائراً، فهو لا يدري من اين اكتسبت طفل هذه الطريقة الأنثوية في خفق اهدابها والنظر اليه بهذ الطريقة، ولا شك انها لم تكتسبها من الرجال الذين كانت تمضي معهم معظم اوقاتها كما لا يمكن ان تكون تعلمتها في روضة الاطفال التي الحقت بها منذ شهر فقط.

وأمسك بأنفها يهزه، قائلاً: «لا بأس بهذه المحاولة؟»

«إذن فانت جارتنا الجديدة الغامضة؟»

ألقى بهذه الكلمات رجل أبيض الشعر ذو لمعان في عيني الزرقاوين، وهو يقترب منهم: «انني تشاك، والد رايف.» واخذ يهز يدها مصافحاً بعنف: «لقد سمعت الكثير عنك.»

فاجابت: «وانا سمعت الكثير عنك أيضاً.»

قال لها بحدة: «لا تصدقي كلمة واحدة من ذلك.»

فأسرعت تطمئنه: «كان كلاماً حسناً.»

«هذا ما اعنيه، لا تصدقي كلمة واحدة منه.»

تدخل رايف قائلاً: «ان لدى والدي روحاً فكهة.»

قالت سيندي: «ان جدي يعرف الكثير الكثير من النكات اخبرها تلك التي عن المرأة المشاكسة، يا جدي.»

أجاب وهو يشعث شعرها بيده الضخمة: «في وقت آخر

قالت سيندي بزهو: «انني اعرفها جيداً، ويمكنني ان اقولها...»

وضع رايف يده على فم ابنته قبل ان تبدأ بذكر تفاصيل احدى نكات والده المنحرفة نوعاً ما والتي هي قديمة كالبحر، ثم اخذ يلهي ابنته عن الكلام بحملها بذراع واحدة: «لنذهب لناكل يا حلوتي، فأنا من الجوع بحيث استطيع ان التهمك الآن حالاً.» واخذ يرفعها عالياً، مزيحاً يده عن فمها حينما ملأ ضحكها الجو.

قال هوغو معترضاً: «مثل هذا المرح يسيء إلى الهضم.»

قال سبود وهو يربت على كتفه: «لا تهتم لذلك، يا هوغو، فان للطفلة معدة تهضم الحديد.» لم يجب الطاهي وقد بدت على ملامحه علامات الإزدراء.

قال سبود مخاطباً جيني: «لا تهتمي به.»

حاولت جيني ان تخفي ابتسامتها وهي تتبع الآخرين إلى غرفة امام المطبخ، وقال رايف وهو يجلسها: «كانت هذه الغرفة في الأساس مطبخ المنزل الأصلي، وعندما عدنا تنظيم المكان، اضفنا مطبخاً حديثاً للمطعم، ثم جعلنا هذا المطبخ غرفة طعام لنا، ما يسهل علينا تناول الطعام.»

أومأت جيني وقد استحسنت فكرة ان يكون البيت فوق مطعم كبير، ولو لم يصر رايف على اخذها إلى بيته للعشاء، لكانت هي بيتها الآن تحدّق إلى طعام مثلج... هذا اذا اكلت فعلاً.

«اتعرف يا جدي ان جيني تصنع دبية؟»

أبدى هوغو علائم عدم الاستحسان وهو يضع إناء الحساء وسط المائدة قائلاً قبل ان يبتعد: «الحساء.»

قال سبود وهو يسكب الحساء في الأطباق لكل منهم:

www.liilas.com

«انها مؤلفة من الكرفس والجوز، انها تبدو غريبة، ولكن طعمها لذيذ ككل ما يطهيه هوغو.»

اثناء تناول الطعام دار الحديث حول جيني ولكنهم لم يحاولوا ان يشركوها به ما جعلها شاكرة لهم ذلك، فقد كانت من شدة التعب بحيث بذلت كل طاقتها لكي تستطيع ان تركز على طعامها.

بعد وجبة دسمة توجت بكعكة اناناس، شعرت بأنها امرأة جديدة، ومن ثم لم يعد هناك داع لجعل سيندي تنتظر اكثر من ذلك، والتي كانت تكاد تنفجر لشدة الإثارة وهي تقود جيني معها صاعدة السلم إلى غرفتها، متلهفة إلى ان تريها غرفتها والعابها، هذا عدا عن لهفتها إلى ان تصبغ لها اظفارها.

اخذت الفتاة الصغيرة تتكلم بسرعة فائقة وهي تدور حول نفسها في وسط الغرفة، كانت غرفة فتاة صغيرة نموذجية مزودة بسرير ذي غطاء وردي وأبيض، وكانت العابها متنوعة من الدمية إلى القطار وسيارة السباق ومحطة البنزين، وعندما انتهت جيني من طوافها في الغرفة، جلست الاثنتان معاً على السرير وامامهما علبة الزينة مفتوحة.

«والآن ضعي يدك على ساقي ولا تحركيها قبل ان افرغ.»

أومأت الصغيرة وهي تعض باطن شفتها توقعاً وهي تراقب جيني بكل دقة.

عندما انتهت من اليد اليسرى، قالت جيني: «هذا حسن، ضعي يدك الأخرى الآن انما لا تلمسي شيئاً بيدك تلك لأن الدهان لم يجف بعد.»

مدت سيندي يدها في الهواء، ثم اراحت رأسها على جنب

جيني بكل ثقة وهذه تكمل المهمة، ما جعل جيني تحس غصة في حلقها.

سألتها سيندي: «هل ستنامين عندنا الليلة؟ يمكننا ان ننام معاً ونتحدث طوال الليل.»

«هذا جميل جداً ولكن عليّ ان اذهب إلى بيتي.»

«لماذا؟»

«لأن الدببة ستكون وحدها ما يشعرها بالوحشة.»

قالت جيني ذلك شاعرة بالارتياح إذ تجد عذراً تقبله الصغيرة، ولو انها كانت اخبرتها بانها لا تستطيع البقاء بسبب مشاعرها تجاه رايف، لما نجح عذرها هذا على الاطلاق، وكأنما كان هنالك اتصال فكري بينها وبين رايف، لأنه ظهر فجأة عند الباب: «أمازلتما هنا، انتما الاثنتين؟ انه وقت حمامك، يا حلوتي، ومن بعد ذلك وقت النوم.»

هتفت الصغيرة وهي تنزل من السرير وتندفع نحوه مادة يديها تريه الصباغ: «انظر... أليست رائعة؟»

فقال باسماً: «رائعة جداً... يا حلوة.»

التفتت سيندي إلى جيني تقول: «انك ستبقين هنا إلى ان اعود إلى سريري، أليس كذلك؟»

أومأت جيني إيجاباً، وكان الحمام قريباً بحيث كانت جيني تسمع ضحكات سيندي اثناء اغتسالها، وسرعان ما كان الوالد وابنته يعودان، هي في بيجامتها المنقوشة بالأزهار، وهو مبلل قليلاً من حمل سيندي آتياً بها إلى سريرها حيث دار بها في أنحاء الغرفة فترة قبل ان يلقي بها على السرير بجانب جيني.

www.liilas.com

عندما عادت الصغيرة تجلس مستقيمة، سألت والدها
«اين كتاب حكايتي، يا والدي؟»

«في غرفة الجلوس، فلنقرأ قصة أخرى هذه الليلة.»

«كلا، علينا ان نقرأ (الجمال النائم).»

«ولكنك سمعت تلك القصة عشرين مرة، يا صغيرتي.»

«اعرف هذا، ولكنها المفضلة عندي، وأنا لا احب قصة جدي عن السمكة.»

قال رايف مخاطبا جيني: «(حكاية السمكة) هو كتاب والدي المفضل، حسناً يا صغيرتي، سأنزل إلى غرفة الجلوس لأحضر لك قصة (الجمال النائم).» عندما خرج سألت سيندي جيني: «أتريدني أن تسرحي شعري؟

أومأت جيني وتناولت الفرشاة التي التقطتها الطفلة من على المنضدة الملاصقة للسرير وهي تقول: «يا ليت شعري جميل كشعرك.»

قالت جيني تطمئنها: «وشعرك أيضاً جميل، انه جعد رائع الجمال.»

«انه يتشابك ومن ثم يصبح تسريحه صعباً، فيأخذ جدي بالسباب، انني أربح احياناً ثلاثة بنسات عندما يسرح جدي شعري.»

قالت جيني بابتسامة آسفة: «ليس الرجال ماهرين دوماً في ترتيب الشعر.»

«ان والدي ماهر في ذلك، مثلك تقريباً.»

«انك محظوظة جداً لكون لك والد جيد مثله.»

قالت سيندي بزهو: «والدي هو أحسن والد في العالم.»

فأومأت جيني موافقة وهي تبتلع غصة مفاجئة في

حلقها، وهنا دخل رايف يناولها الكتاب: «هاك، يا صغيرتي.»

أصرت سيندي على جيني ان تقرأ لها الحكاية كاملة، وعندما انتهت الحكاية، احاطت سيندي عنق جيني بذراعيها قبل ان تستلقي على فراشها وتدفن وجهها في الوسادة.

عندما وقف رايف مع جيني في الممر امام غرفة ابنته، قال لها: «لقد جهزت القهوة، اتريدين كوباً؟» وعندما أومأت برأسها، قال: «كل شيء جاهز، فاسكبي لنفسك.» وأشار نحو غرفة الجلوس: «المطبخ إلى اليسار، والأكواب في الخزانة فوق حوض الغسيل، ان عليّ ان انزل إلى الطابق الأسفل لمراجعة بعض الأمور، ان سبود وهوغو يملآن المكان صخباً منذ فترة، لن اتأخر.»

اغتنمت جيني فرصة غيابه لتنظر في انحاء غرفة الجلوس، كانت الجدران والسجادة بلون الصوف الطبيعي، بينما الوسائد الزرقاء الموزعة على الإرائك تسبغ ألواناً على المكان وتتلاءم مع لون اللوحة الزيتية المعلقة فوق المدفأة والتي تمثل بحراً هائج الأمواج.

كان المطبخ فسيحاً إلى حد كافٍ ويقوم بعد غرفة الجلوس مباشرة، وكانت القهوة قد جهزت للسكب حال وصولها اليها، وهكذا حملت فنجان القهوة وعادت إلى غرفة الجلوس تنتظر عودة رايف.

ما ان استقرت في مكانها، حتى قفزت إلى حجرها قطة بيضاء، قالت جيني وهي تقلب شفتيها: «انك بوتز كما اظن.»

دارت الهرة حول نفسها ثلاث مرات قبل ان تستقر في

www.liilas.com

حضن جيني، وكأنها في بيتها، ثم اغمضت عينيها الخضراوين وهي تخرخر، ولم تستطع جيني مقاومة مشاعرها، فوضعت فنجان القهوة جانباً ثم اخذت تمرر بيدها على فراء القطة ملاطفة وهي تعبث بأذنيها ما جعل الخرخرة تزداد.

قال رليف وهو يدخل الغرفة: «يبدو وكأنك عثرت على صديقة.»

«بل هي التي عثرت عليّ.»

«ان للقطط طريقتها الخاصة في هذا.»

أومأت جيني وهي تحدق في القطة المطمئنة وقد عادت تشعر بتلك الغصة في حلقها، يبدو ان مشاعرها كانت على وشك ان تهزمها هذه الليلة، وقررت انه لا بد الإرهاق، فقد كان من الغباء ان تجلس هناك شاعرة بالدموع في عينيها لمجرد ان قطة تجلس في حضنها... فقد كان هذا شيئاً طالما تمنته ولم تحصل عليه عندما كانت فتاة صغيرة، قال لها: «يبدو انك تذكرت شيئاً غير حسن، إذا كانت القطة تزعجك، فانزليها إلى الأرض.»

«كلا، فالقطة جميلة، ولكنني كنت افكر فقط، تذكرت كيف كنت دوماً اتمنى قطة وذلك في طفولتي، ولكنني نشأت في جدي، وكان جدي يكره القطط.»

«وماذا بالنسبة إلى الآن؟ انك وحدك الآن، ويمكنك ان تتخذي قطة لو شئت.»

«اعلم ذلك، وقد فكرت في اتخاذ قطة حالما يستقر بي المقام.»

«حسناً، اذا كنت تشعرين برغبة في صحبة القطط إلى ان

تحصلي على واحدة خاصة بك، فمرحباً بك في بيتنا حيث يمكنك ملاطفة بوتز حين تشائين.»

«شكراً.»

«وطبعاً، لا حاجة للقول بأن بامكانك أيضاً ان تأتي لتمضية بعض الوقت معي في أي وقت تشائين، كذلك ويمكنك ان تلاطفيني أيضاً إذا احببت.»

ردت عليه بنفس اللهجة الساخرة التي حدثها بها: «ما اشد كرمك.»

«والآن، اخبريني يا جيني... لماذا اخترت صنع الدببة؟»

ابتسمت شاعرة بالارتياح لتغييره الموضوع، فهذا كان سؤالاً كانت تعرف جوابه، فقد كانت الحقيقة ان والدها هجر البيت ووالدتها ماتت، فكان الدب الدمية هو الذي بقي معها في طفولتها.

قالت له ببساطة: طقد احببت الدببة منذ ان كنت طفلة، وقد علمتني جدتي كيف اخيط، فصنعت ثياباً لدببي من الخرق، ثم ابتدأت اصنع دباً جديداً بنفسي حيث انه لم يكن بإمكاننا شراء دب جديد، وكانت محاولة تدعو إلى الرثاء، فقد كنت في العاشرة فقط، ولكن عملي تحسن مع التدريب واستعمال نماذج لتفصيله وجدتها في المكتبات، وعندما وصلت إلى سن المراهقة، كنت اصنع دببة لصديقاتي، شاع أمري وسرعان ما اخذ الناس يكلفونني بصنع دببة لهم، كذلك ولكنني لم أدرك ان من الممكن تسويق موهبتي هذه إلا بعد ان قرأت مقالة في إحدى المجلات، بهذا الشأن، وكان هذا منذ ست سنوات، وكنت حديثة العهد في الجامعة.» وامتصت رشفة من قهوتها قبل ان تتابع قائلة: «ولكنني كنت فتاة

www.liilas.com

عملية بحيث لم يشغلني هذا الأمر، وهكذا حصلت على شهادة في إدارة الأعمال وأخرى ثانوية في الفنون. وعندما تخرجت، اشتغلت عامين في شركة تأمين واسعة. واثناء ذلك بقيت اقوم بصنع الدببة في وقت فراغي وبيعها في بعض معارض الدببة في عطلات نهاية الأسبوع، كما امضيت كثيراً من الوقت في المكتبة أبحث في شؤون الدببة. فوجدت أن جمع الدببة والدمى هما اكثر الأشياء شعبية في هذه البلاد، ولا يتفوق عليهما سوى جمع الطوابع وقطع النقد، ومن أربع سنوات تقريباً، بعت من الدببة التي صنعتها ما جعلني اتخلى عن وظيفتي وانطلق في العمل الخاص.»

وإذ شعرت بأنها تحدثت الكثير عن نفسها، قالت: «هذا يكفي عني، ماذا عنك انت؟»

فقال: «ماذا عني؟»

قالت: «انك رائع مع سيندي.»

رد بحدة: «ان حماتي لا تتفق معك في هذا، فقد اخذ صوتها يرتفع مؤخراً مظهرة عدم استحسانها للطريقة التي أربي بها سيندي.»

فسألته: «وما الذي لا يعجبها في تربيتك لابنتك؟»

«نقص العنصر الأنثوي في حياة الطفلة، وهي محقة في ذلك، لأن سيندي تعيش هنا في بيت كله رجال، وقد رأيت مبلغ ابتهاجها عندما صبغت اظفارها.»

«لقد اخبرتني سيندي بنفسها ان لديها أحسن والد في العالم، واحب ان اقول انني اوافقها على ذلك.»

فقال: «انني اشكر لك هذه الثقة.»

تعلقت عيناها بالدفء البادي في عينيه، ولأول مرة تر

نفئاً معبراً عن المودة وليس عن الرغبة فقط، وكانت نتيجة ذلك مغرية وقد صنعت جسراً بينهما، رباطاً من نوع خاص قد تشكل بينهما، ولكنه قوطع بقفز القطة المفاجيء من حضنها، فتمتمت وهي تتطلع بعيداً عن نظراته المغناطيسية: «لقد تأخر بنا الوقت، وأريد ان اذهب.»

فأجاب: «سأسير معك إلى بيتك.»

عندما وصلا إلى باب بيتها، أوصاها بان تهتم باقفال بابها، قبل ان يستدير ليذهب، فمدت يدها توقفه عن ذلك، قائلة: «انتظر لحظة، فانا أريد ان اعطيك شيئاً...»

لمعت ابتسامة ماكرة على شفتيه في الظلام وهو يقول بفضول: «تعطينني شيئاً؟»

«انتظر لحظة.»

وسرعان ما عادت بتناوله الدب بروزر: «هاك، اظن ليس لديك مانع في انني ألبسته كنزة، إذ يوجد مكان قرب كتفه لم استطع اصلاحه، فتركته وغطيته بالكنزة، ما رأيك؟»

«رأيي ان من غير الممكن ان اصل إلى نتيجة بالنسبة إليك، تصبحين على خير.»

* * *

نامت جيني تلك الليلة كلوح من خشب، وايقظها صباح يوم الاثنين رنين الهاتف من شركة التأمين وما ان اغتسلت وارتدت ثيابها حتى عاد الهاتف إلى الرنين: «آلو.»

فقال نفس الصوت: «ارحلي.»

وضعت جيني السماعة على الفور، فهي لم تعد تظن ان الصوت لرجل غريب الأطوار، بل هي الآن اصبحت تعتبر

www.liilas.com

الأمر جدياً، فهناك شخص يريد ان يبلغها رسالة، ولكن السؤال هو... من تراه ذلك الرجل؟

ورن الهاتف مرة أخرى، فتركت آلة التسجيل فيه تستلم الرسالة، والتي كانت الآن من مدير المصرف السيد فريندال، فرفعت السماعة لتتكلم معه.

قال السيد فريندال: «هل من الممكن ان تمري عليّ في مكتبي هذا الصباح؟ انني أريد ان نتحدث في بعض الأمور التي لا احب مناقشتها هاتفياً.»

كان من الطبيعي، بعد اتصال كهذا، ان تذهب جيني الى على الفور، فقد غطى قلقها مما قد يريده المصرف منها على قلقها من التهديد الذي تلقته بواسطة الهاتف، ووعدتها ميريام بأن تستقبل موظفي شركة التأمين اثناء ذهاب جيني إلى المصرف.

تطرق السيد فريندال إلى الموضوع رأساً، وهو ان المصرف، والذي كان قد تسلم مقاليده مؤخراً، أنا آخرون قد عاد يراجع المبلغ الذي كانت اقترضته، ووجد انه مغامرة، ولهذا توقفوا عن دفع رصيدها.

لم يكن هذه بداية حسنة لأسبوع العمل هذا، وتملك جيني غضب يقرب من الهستيريا وهي تخرج من المصرف إلى حيث أشعة الشمس، لقد ابتدأ أولاً بالتخريب ثم طوفان الماء، والآن هذا الأمر، ثمة شخص قد صمم على ان لا تنجح شركة الدب بنجامين.

عندما كان من المعقول ان تصب اللوم على رايف، رأت وجهه عندما تبعها إلى المخزن الليلة الماضية، وكان يبدو عليه نفس الذهول الذي كانت تشعر به، كلا، فقد كان هنا شيء

آخر يحدث، وهي ستعرف ما هو، كان أول ما وصلت اليه هي المكتبة حيث اخذت تبحث عن مالكي المصرف الجدد، ثم صاحت فجأة: «بنجو.» ما جعل الموظف هناك يقطب جبينه.

لقد اتضح الأمر، ان نفس المجموعة التي امتلكت المصرف هي أيضاً صاحبة شركة ميغاتويز للألعاب... الشركة التي طلبت منها ان تبيعها تصميماتها... الشركة التي لم يعجبها الرفض من جانبها...

وفجأة، انكشف اللغز، الاتصالات الهاتفية الغامضة، التصميمات الضائعة، الشحنات الضائعة، تأخر المقاول في اصلاح المبنى، تسرب الماء الغامض من السقف والذي كان السيد فادن قد اخبرها عنه انه يظنه متعمداً، والآن قد اوقفوا رصيدها في المصرف، كل شيء كان يقود إلى شركة ميغا تويز مباشرة، ومع ذلك فهذا لم يكن كافياً لأن تلجأ إلى القانون، وان يكن كافياً لها لأن تقتنع بأن هذه الشركة وراء هذا كله.

وإذ وجدت نفسها إزاء هذه الحاجة الماسة إلى المال، أخذت تفكر بلهفة في المبلغ الذي كانت جدتها قد تركته لها، المبالغ سبعين الف دولار، انها بأمس الحاجة إلى ان يكون الآن بيدها، وفي الواقع كان حصولها عليه الآن أمراً حيوياً بعد التطورات الأخيرة في المصرف، ولكن المشكلة كانت ان هذا الإرث كان المفروض فيه ان يكون تلك البائنة القديمة لشراز، وبالتالي مرتبطاً بزواج جيني، ولكن جيني كانت واثقة من جدتها لو عرفت الآن بهذه الضائقة الرهيبة التي وقعت فيها، لوافقت حتماً على ان تحصل على المال الآن. لهذا كانت الخطوة التالية لها هي الاتصال بمحاميتها:

www.liilas.com

«اسمعي، يا ميراندا، انني بحاجة إلى التحدث معك عن وصية جدتي.»

«ماذا بشأنها؟»

«كم من الوقت يتطلب الغاء تلك الفقرة التي تقول ان علي ان اتزوج قبل ان استلم الميراث؟»

«عدة اسابيع على الأقل، لماذا؟ كنت اظنك سعيدة لإبقاء المبلغ حيث هو؟ فهو يأتيك بفائدة كبرى.»

«لأن المصرف يضغط عليّ، لقد اوقفوا حسابي، مدعين بأنني مغامرة اكثر مما يجب، لقد اخبروني هذا الصباح بأنهم اعادوا تقييم القرض، ثم قرروا بأن عليّ ان ادفعه مرة واحدة، وقد أجريت بعض الأبحاث فوجدت ان المصرف يملكه الآن نفس اصحاب شركة ميغا توير.»

«هل هي شركة الألعاب التي كانت تلاحقك لأجل تصميماتك؟»

«كلمة (تلاحقني) هي كلمة سهلة، فقد شعروا بإهانة بالغة عندما رفضت عرضهم قائلة بأنني أريد ان يكون صنع الدببة متقناً لأن شركتهم معروفة برداءة الصنع، انهم يستعملون قماشاً رديئاً، ويضعون الإيراد في جيوبهم.»

قالت ميراندا ساخرة: «مرحباً بك في صناعة التسعينات من القرن العشرين.»

ردت جيني بحدة: «ولكن ليس صناعتي أنا.»

«انني أكره ان اسبب لك حزناً، ولكن حتى ولو الغينا هذه الفقرة من وصية جدتك، تبقى تلك الفقرة الأخرى والتي تقول ان ليس بإمكانك الحصول على الإرث قبل ان تبلغي الثلاثين من العمر، أي ان الوصية تقول: «حتى تتزوجي أو تبلغي الثلاثين من العمر.»

قطبت جيني جبينها: «إذن فانت تقولين ان ليس ثمة طريقة تجعلني احصل على المال الآن؟»

«هذا صحيح، حتى تتزوجي، كما انه ليس بإمكانك ان تستعمليه ضماناً لقرض ما.»

«اعلم ذلك، وهو السبب الذي جعلني اذهب إلى المصرف، كانوا في منتهى الكرم، ولكن البنك تسلمه بنك آخر منذ اسابيع قليلة فقط، انك تعرفين احوال المصارف المحلية، لم اهتم انا بهذا الأمر إلا بعد ان اتصلوا بي هاتفياً طالبين مقابلتي.»

«انني آسفة لهذه المشكلة التي تعانين منها. متى يريدون المال؟»

قالت جيني متهكمة: «أمس. إذا انا تزوجت، ما هي المدة التي سيستغرقها تسلمي المال؟»

«انها مسألة ايام قليلة، لماذا تسألين؟ هل لديك خطة للزواج؟»

فتمتمت جيني: «يبدو انه يتوجب علي تدبير ذلك سواء شئت هذا أم أبيت.»

* * *

قالت حماة رايف، اليثا ليثون، في الهاتف بصوت بارد كالثلج: «ان غرفاً قليلة فوق مطعم ليس مكاناً مناسباً لتربية فتاة.»

كان بإمكان رايف ان يخبرها بأنهم لا يعيشون في غرف قليلة العدد، وإنما في طابقين من المبنى... ولكن حماته لم تكن تعرف ذلك جيداً، ولا فائدة من ذلك، فهي لم تكن تلين،

www.liilas.com

وهكذا كان كل ما قاله هو: «لقد سبق وخضنا في هذا الموضوع من قبل.»

«نعم، هذا صحيح، هل تعلم ان سيندي قد اخبرتني بنكتة بذيئة اليوم؟ هل هذا هو نوع تربيتك لها؟ ان تقول نكتاً بذيئة.»

«انها لا تقول نكتاً بذيئة.»

«بل تقول ذلك، بالنسبة إلى رأيي.»

«ربما هي نكت منحرفة قليلاً...»

«اظن ذلك يعتمد على ذوقك... فإذا كنت قد تلقيت تربية الرعاع وحثالة الناس، فانك تعتبرها منحرفة قليلاً، ولكن والدتها سوزان ما كانت لتعتبرها مجرد منحرفة، وانت تعلم ذلك، ولا شك ان الذعر كان سيتملك ابنتي المسكينة لو انها علمت بهذه التربية السيئة التي تتلقاها ابنتها الوحيدة.»

رد عليها رايف غاضباً: اسمعي، ليس لك الحق في ان تعلميني كيف أربي ابنتي، فانت لم تزعجي نفسك برؤيتها إلا بعد ان بلغت الثالثة.»

«كنت ما ازال ذاهلة مضطربة لموت ابنتي، فقد كنت مسحوقة بالحزن.»

«بل كنت مشغولة بحياتك، إلى حد نسيت الاهتمام بها مثقال ذرة.»

«لقد كنت اخبرت ابنتي بأن لا تتزوجك، وكنت على صواب، فانظر كيف انتهت، فقد ماتت.»

قال وهو يصرف بأسنانه: «انا لم اقتلها، لقد ماتت بسرطان الدم.»

«لو لم يكن انهكها ركضها لمساعدتك في انشاء مطعمك السخيف ذاك، لما مرضت.»

لقد كانت جادلته بهذا الموضوع من قبل، ما جعله يشعر بالتعب مدة طويلة، فقال: «انتهت المحادثة.»

فقالت الحماة: «نعم، انتهت، ولكن الاتصال التالي سيكون بواسطة المحامي.»

«المحامي؟»

«نعم، لأنني سأرفع دعوى حضانة لحفيدتي الوحيدة.»

وبهذا الخبر اقفلت الهاتف.

* * *

قال رايف لجيني وهو يجلس بانتظارها على عتبة بيتها: «ان منظرك مماثل لمشاعري.»

«وكيف هي مشاعرك.»

«كريهة للغاية.»

«ها قد عدنا إلى الفاظك الحلوة مرة أخرى.» لكن السأم والتعب كان يبدو في صوتها اكثر من السخرية وهي تجلس بجانبه.

فقال بصوت كئيب كشعورها: «نعم، هذا صحيح.»

«كان نهاري هذا سيئاً إلى حد لا يصدق، كيف الحال معك؟»

فقال: «لقد نزلت عليّ حماتي من الجحيم لتنفث سمومها في وجهي، متشوقة لأخذ ابنتي مني.»

أنست الدهشة جيني متاعبها، فقالت له: «انك تمزح، دون شك.»

«يا ليتني كنت أمزح، صدقيني.»

«ولكن ما الذي يجعلها تأخذ الطفلة منك؟»

«اتذكرين ذلك الحديث الذي دار بيننا منذ أيام وكنت اعبر لك عن قلقي لأن سيندي لا تعيش في جو انثوي؟»

www.liilas.com

فأومأت جيني إيجاباً.

«ان حماتي تشعر بأن ابنتي بحاجة إلى نموذج انثوي تعني بذلك نفسها، ولهذا تهددني بأن ترفع ضدي دعوى وصاية على سيندي.»

«وهل بإمكانها ذلك؟ من المؤكد ان ليس ثمة محكمة تستطيع اخذها منك.»

«انني لا أريد ان اسأل عن ذلك، فإنني لن اقبل أبداً ان تتعرض ابنتي لمعركة الوصاية القذرة، وإذا كان من المحتمل جداً ان تكسب ام سوزان القضية، فان لديها من المال ما يجعل الأمور صعبة جداً وما يجعلها تغير الأمور في المحكمة.»

«وما الذي ستفعله انت، إذن؟»

«لقد فكرت في ذلك فوجدت انني بحاجة إلى زوجة ولذلك لكي اتمكن من الاحتفاظ بإبنتي، وكلما اسرعت كان ذلك افضل، ما قولك في هذه الوظيفة؟ اتراها تعجبك؟»

«ما أغرب ان تطلب هذا مني، لأنني انا أيضاً بحاجة إلى زوج.»

الفصل الخامس

قال رايف ببطء وكأنه لا يصدق حظه هذا: «هل لك ان تعيدي ما قلته؟»

«انني بحاجة إلى زوج.»

«لماذا؟»

«لأسباب تتعلق بالعمل.» لقد فضلت جيني هذا التعبير على قولها ان ذلك لأجل المال.

«هل لك ان توضحي كلامك؟»

أجابت: «لقد كانت جدتي تركت لي في وصيتها مبلغاً جيداً من المال على ان لا اقبضه الا عند زواجي أو عندما ابلغ الثلاثين من عمري، إذا لم اتزوج.»

«اظنك قلت ان أسرتك لم تكن غنية.»

«نعم، لم تكن أسرتي غنية، ولكن جدتي كانت قبضت هذا المبلغ من المستشفى الذي توفي فيه جدي تعويضاً عن اهمال حدث من جانبهم في علاجه، وعلى كل حال، لقد خشيت جدتي ان تمس بنساً منها قائلة بأن هذا سيبدو وكأنه تعبير عن سرور منها بموته، فتركته في حساب للاستثمار، ثم تركته لي في وصيتها.»

«بتلك الشروط؟»

فأومأت تقول: «نعم، وما أقل الأشياء التي بدون شروط في هذه الحياة.»

«هل استشرت محامياً بهذا الشأن؟»

www.liilas.com

أومأت مرة أخرى ايجاباً: «عندما توفيت جدتي منذ أربع سنوات، استشرت المحامي بعد ان اكتشفت تفاصيل الوصية، وفي ذلك الحين، لم أشأ ان آخذ الأمر إلى المحكمة، فقد بدا لي ذلك وكأنه تصرف ضد تمنيات جدتي ولم اكن احب القيام بذلك، لقد كانت تريد ان يكون ذلك المال بائنة لي، وإذ كنت أعيل نفسي حينذاك، لم اشعر بالحاجة إلى المال.»

«والآن؟»

«انني بحاجة ماسة الآن لأجل شركتي وذلك بشكل عاجل ولا استطيع ان اؤخر ذلك كيلا تسري عليّ إجراءات قانونية معقدة، فليس لديّ سوى هذه الفرصة هنا، وهنالك شركة تريد ان تفوت هذه الفرصة، فهم لا يريدون ان يروا نجاح شركتي.»

«لماذا؟»

«لأن شركة ميغاتويز عرضت علي شراء تصميماتي وعندما رفضت، قررت ان تجعل حياتي صعبة، لقد كانوا هم وراء ضياع الشحنتين وغير ذلك من التخريب الذي حدث بما في ذلك السقف، انني واثقة من ذلك، فقد كان السيد فاين قد اخبرني بأنه يشتبه في ان ثمة من احدث تلك الثغرة في السقف متعمداً.»

«ولماذا لم تخبريني عن هذا، الليلة الماضية؟ هل كنت تظنين انني أنا الذي فعل كل ذلك؟»

«كلا، وخصوصاً بعد ان رأيت وجهك بعد ان لحقت بي إلى المخزن، فقد كانت دهشتك بمثل دهشتي، والسبب الذي منعني من ان اتحدث عن ذلك هو انني كنت بغاية الإرهاق

قال بشيء من الاهتمام: «ومازال الإرهاق يبدو عليك.»

فقالت مازحة: «لقد نلت من اطرافك ما يكفي.»

وعندما ابتسم رايف أحست وكأن الشمس أشرقت من بين السحب، ولكن نظرته الكئيبة سرعان ما عادت ليقول: «أتظنين حقاً ان شركة الألعاب تقوم بكل هذه الأشياء لأجل العثور من الدبية؟»

«ان جمع الدبية القديمة لصنع دبية جديدة منها تأتي بملايين الدولارات، وهو عمل عالمي، ان اعتقادي بأن الشركة هي وراء كل هذه الأعمال سببه ان السيد بيتر كيبورن، رئيس الشركة، معروف بأنه يحصل دوماً على ما يريد.»

«وكذلك انا، وهذا لا يعني انني اخرق القانون لذلك.»

«ولكن هذا الرجل يفعل ذلك، فهو معروف بالقيام بتعاملات مشبوهة، ولكن بما انه يرفع اسعار الأسهم، فلا احد يهتم، انه محتال حقيقي، وهذا هو السبب في رفضي التعامل معه أو مع شركته.»

سألها وقد اختلط عليه الأمر: «محتال؟»

«نعم، محتال، وأنا متأكدة من انه وراء تلك الاتصالات الهاتفية الغامضة التي كانت تأتيني، عدا عن أنه أرسل شخصاً ليعبث في مسكني.»

فقاطعها قائلاً: «لحظة واحدة، ما الذي تتحدثين عنه؟ متى دخلوا مسكنك؟»

«أتذكر يوم ذهبنا إلى النزهة؟»

فأومأ رايف، وكيف ينسى ذلك اليوم؟ وهو اليوم الذي كان يشعر فيه بأن شيئاً قد ابتدأ يسري بينهما.

www.liilas.com

«حسناً، فيما بعد ذلك المساء، تملكني نوع من الضيق والأرق، فصممت على النهوض والعمل في بعض التصميمات الجديدة، لكنني لم استطع لأن تلك التصميمات كانت مفقودة. بحثت في كل مكان ولكنني لم اجد لها أثراً.

«ربما كنت وضعتها في غير مكانها.»

«ذلك ما فكرت فيه حينذاك، ولكن كان هناك أشياء أخرى قد تغير مكانها، هي أيضاً، ورغم انني لم اعرف ذلك في حينه، فهناك شخص ما كان في منزلي وسرق التصميمات.

«انك إذن بحاجة إلى حراسة، ان تتخذي جهاز إنذار يتصل بالشرطة لأجلك، واحد في المخزن وآخر في منزلك. ماذا لو كنت دخلت منزلك مبكرة فوجدتهم في منزلك؟ كان عليك ان تستدعي الشرطة على الفور.»

«وماذا اقول لهم؟ انني فقدت بعض تصميمات صغيرة الدببة؟ انك انت أيضاً لم تصدقني حين اخبرتك.»

«نعم، حسناً، إذا حاول اولئك الاشخاص القيام بالمزيد من مثل هذه الأعمال، فسيكون عليهم ان يتعاملوا معي انا لأنه منذ الآن فصاعداً، إذا حاول شخص ان يسيء اليك فعليهم ان يواجهوني، لقد اصبح لديك شخص يعتني بك الآن.»

تملك جيني الحذر، لقد سبق وعرفت رجالاً اسرعوا باطلاق وعود كهذه، من قبل، ولكنهم لم يبقوا بجانبها وقتاً كافياً لكي يفوا بعهودهم، لقد كان والدها وعدها بالسيرعاها، ولكنه هجرها منذ كانت في السادسة، وقد أمضت سنوات بعد ذلك تنتظر عودته سراً، ولكنه لم يعد ولم تكتشف إلا منذ سنوات قليلة انه كان رحل إلى فلوريدا

أنشأ أسرة أخرى هناك قبل ان يموت بأزمة قلبية وهو في الخمسين، وهذه نهاية القصة.

ان الرجال يقولون أشياء لا يقصدونها، وكانت تعلم ذلك، كانت تعلم أيضاً ان افضل طريقة لحماية نفسها هو ان ترعى هي نفسها، فقالت تنبه رايف: «انني لا أبحث عن زوج حقيقي؟»

فقال: «وانا أيضاً لا أبحث عن زوجة حقيقية، فما سنقوم به مجرد اتفاق عمل.»

سارعت تقول: «وهو كذلك في نظري، أيضاً.» ولكنها كانت تفكر في ان المفروض في كلماته هذه أن تطمئنها، فلماذا لم يحدث ذلك؟

سألها: «هل سبق لك الزواج من قبل؟»

هزت جيني رأسها نفياً.

«هل لديك حبيب ينتظرك؟»

«لو كان لي، فهل كنت ساقبل معك بهذا؟ اسمع انك تحب شركتك، وأنا احب شركتي، فانا سأناضل في سبيل الاحتفاظ بها بنفس الطريقة التي ستناضل انت بها لأجل الاحتفاظ بشركتك ورعايتها بنفسك.»

قال رايف ينبهها: «انني لا اتحدث هنا عن صفقة قصيرة الأمد، فانا لا اريد ان تحزن سيندي وهي تراك تتخلين عن كل شيء هنا بعد اسبوع، أو شهر أو سنة.»

«انني لن اقوم بأي شيء يحزن سيندي.»

فقال: «ان أقل مدة هي خمس سنوات قابلة للتمديد بعد انتهائها.»

تذكرت جيني مبلغ السرعة التي مرت بها الخمس

www.liilas.com

سنوات الماضية، فقد كانت مشغولة بصنع الدببة وإنشاء شركتها، قد يرى البعض الخمس سنوات مدة طويلة، ولكنها ليست كذلك بالنسبة إليها، هذا إلى انها كانت تهتم بسيندي ولا تريد أبداً ان تسبب لها حزناً، كما انها لم تكن تريد ان تراها متورطة في معركة وصاية، لقد كانت تعلم كم هو والد صالح، رايف، وهو يتصرف نحو ابنته وكأنه الوالد والوالدة معاً.

تمتم يقول: «اظنك ستكونين والدة جيدة لسيندي.»

«هل هذا يناسبك؟ أعني انني لم افكر قط في ان احتل مكان والدتها الحقيقية، اعني انني لن استطيع ذلك ولو أردت...» ولم تعرف كيف تعبر عن نفسها.

فقال يطمئنها: «انني اعرف ما تعنين.»

قالت بعد ان تنفست بعمق: «اذا كنا سنقوم بهذا حقاً فهناك أشياء أريد ان أوضحها... ولكنني لا أدري كيف اقولها...»

«قولي فقط.»

«أريد فقط ان اطمئن إلى ان هذه ليست وسيلة حانقة لوضع يدك على املاكي، اعني انك لم تخف قصدك بالضبط وهو انك تريد ان توسع مطعمك وتريد أرضي لذلك السبب.»

التهب وجهه بالغضب: «ان ابنتي اكثر أهمية لدي من مئة مطعم، ولكن لكي أثبت لك هذا، سأجعل المحامي يضع اتفاقية بأن هذه الأرض ستبقى ملكك. هل هذا يجعلك سعيدة؟»

فقالت بحدة: «لا تقتلني، فهذا سؤال قانوني في هذه الظروف.»

سألها: «هل هناك مزيد من الأسئلة؟»

«في الحقيقة، نعم، هل تعرض ان يكون الزواج صورياً؟»

فهمت ذلك وقد جعلها الضيق اكثر صراحة من عادتها.

قال: «كلا، فهذا ليس ضرورياً.»

قالت تذكره: «ولكنك قلت انك لا تريد زوجة حقيقية.» كانت تتساءل عما إذا كان ما تشعر به هو الخوف أو التوقع، أو مزيجاً منهما.

فقال: «عنيت زوجة بالمعنى التقليدي، عنيت بأن هذا الزواج ليس زواجاً طبيعياً في طريقته، فكل منا لديه سبب خاص للزواج لأن الأشياء التي نحبها اكثر من أي شيء آخر في العالم، هي مهددة، ولهذا نتصرف لكي نحمي ما هو لنا.»

فقالت: «هذا صحيح.»

أضاف قائلاً: «ولكن هذا لا يعني ان علينا ان نتجاهل طبيعتنا البشرية نحو بعضنا البعض.»

سألته بحذر: «ما الذي تعني بذلك؟»

«أعني ان خمس سنوات هي مدة اطول من ان نستطيع امضاءها من دون علاقة، كما أنني لا احب العبث خارج سريري.»

فقالت بسرعة: «ولا انا احب ذلك.»

«أرأيت؟ اننا متشابهان بالآراء، فنحن متماثلان بروح الصداقة، وتقدير القيم، وقد انشأنا صداقة بيننا، وليس لنا ان ننكر التجاذب الذي حدث بيننا، وبإمكان هذا ان يكون أساساً لعلاقة جيدة.»

لاحظت مبلغ الحرص الذي كان رايف يتجنب به ذكر كلة

www.liilas.com

(الحب)، وان كانت لا تلومه، فهو كان متزوجاً من امرأة كل
يكن لها، كما هو واضح، أعمق الحب، وهي لا تستطيع لو
ان كان يتطلع هذه المرة إلى شيء مختلف.

ولا كانت هي تبحث عن الحب، أيضاً كما اخذت تذكر
نفسها بحزم، فكل الرجال الذين كانوا يقولون انهم يحبونها
قد هجروها، ابتداءً من والدها. فقد تعلمت في سن مبكرة أ
لا يمكن ان تثق بأن الرجل سيكون موجوداً ساعة الحاج
إليه، ولم يحدث أي شيء طوال طفولتها يغير رأيها هذ
وإنما لكدت لها تجاربها عقيدتها في ان السوء الذي
سيحدث، سيحدث حتماً.

كانت جيني تعلم بأن ليس كل الرجال مثل والدها... ليس
كل الرجال يهجرون أسرهم، ولكنها في اعماقها، كانت
تتساءل عما إذا كان ما يبعد الرجال عنها هو شيء في
شخصيتها يجعلهم يرحلون، وبالنسبة لهذه العلاقة الجديد
مع رايف، كانت تعلم منذ البداية بأنه سيهجرها، حتى انه
كانت تعلم متى سيكون ذلك.

وهذا هو السبب الذي جعل هذه الاتفاقية بينهما مقبول
منها، ففي تجنب الحب، تجنب للألم وخيبة الأمل، ذلك ان
رايف لم يكن يعرض عليها الحب، وإنما كان يعرض عليها
ان يجعلها جزءاً من أسرته لمدة معلومة، يعرض عليها أ
تشترك في تربية طفلته، وهذا مقابل حصولها على ما
تريده... شركة بنجامين وشركاؤها والمال الذي تحتاج
لانعاشها، وكان هذا عهداً غير مكتوب وإنما عن تراض
بينهما.

لم يكن في الأمر وهم أو خداع للنفس، فقد كان الأم

واضحاً لها وهو ان رايف لم يكن يدعي الحب لها. كانت
تعلم انه لم يكن يريد ان يحب أي امرأة مرة أخرى، ولم يكن
بحاجة إلى ان يخبرها بذلك، فهي لم تكن بحاجة إلى ان تقرأ
الأفكار لكي تعلم ان موت زوجته سبب له عذاباً هائلاً، فقد
ادركت ذلك من عبارة أو اثنتين كان والده قد ألقى بهما
عندما تناولت العشاء عندهما الليلة الماضية.

اخترق الصمت الذي ساد بينهما صوت رايف يقول:
«وعدك بأن لا افعل شيئاً لا تريدينني ان افعله.»

فقالت: «انك رجل تلاحق دوماً ما تريد.»

«أنا لا أنكر هذا، ولكن بقدر ما سارغب فيك، أرغب في ان
تنشأ ابنتي في بيت ثابت مستقر، وربما اكثر.»

لا يمكن ان يتحدث بوضوح اكثر من هذا، كما اخذت
جيني تفكر، محدثة نفسها بأن هذا الخفقان الغريب في
صدرها ما هو إلا من أثر الجوع وهي التي لم تتناول
عشاءً أو غداء.

سألها أخيراً: «ماذا تقولين إذن؟»

أجابت: «اقول نعم.»

فتصافحا عندئذ كأي شخصين على وشك ان يصبحا
شريكين، وكان هذا أمراً منطقياً بالنسبة إلى جيني، ولكن
هذا الإحساس الغريب الذي تملكها لم تدرك كنهه، فقد كانت
ترجو ان يخفف هذا الحديث العملي البارد الذي دار بينهما
عن زواجهما، مما اعتادت ان تشعر نحوه من مشاعر، ولكن
يبدو ان هذا الحظ لم يحصل، فقالت بخشونة: «ومتى
تتزوج؟»

«كلما اسرعنا في ذلك كان أفضل.»

www.liilas.com

«موافقة.»

«حسناً، ما قولك في عشرة ايام ابتداء من الآن؟ انني بحاجة إلى أسبوع لإجراء فحص الدم ورخصة الزواج، هذا عاد عن المسائل الأخرى.»

«ما هي تلك المسائل؟» سألته جيني ذلك وهي التي لم تشترك قط في إجراءات حفلات زواج من قبل، فكيف بزواجها هي.

«تحضير الشهود، حفلة استقبال صغيرة بعد ذلك، وهذا النوع من الأمور، لا نريد ان يبدو الأمر وكأننا نسرع في هذا الزواج، وإلا فسيثير ذلك الشكوك، فهذا سيبدو زواجاً حقيقياً لكل انسان، وإلا فستنهار الخطة، ذلك ان حماتي إذا اشتمت شيئاً، فستتابع رفع الدعوى.

قالت جيني شاعرة بالكراهية لتصرفات تلك المرأة: «انها لن تشم شيئاً سوى فراش من الورود، هل ستدعوها إلى العرس؟»

«كلا، بل سأرسل اليها خبراً بذلك بعد العرس، فانا لا أريد ان اجعلها تحاول القيام باشياء قد يدفعها إليها الغضب.»

فتمتمت تقول: «تبدو وكأنها هي الفائزة الحقيقية.»

أومأ برأسه موافقاً: «من الصعب ان اصدق بأن ابنتها سوزان كانت بكل تلك الرقة واللطف.»

رأت جيني تلك النظرة الكئيبة تعود إلى عينيه كما يحدث في كل مرة كان ذكر زوجته الراحلة يأتي على لسانه... هذه النظرة التي كانت هي تريد ان تمحوها. فقالت: «متى نفشي الخبر؟»

«الآن، فلنذهب إلى البيت ونخبر والدي وسيندي.»

«الآن؟ في هذه اللحظة؟»

«وماذا في ذلك؟»

«لا شيء، وإنما تعرفت إلى والدك الليلة الماضية فقط، وأرجو ألا يجد غرابة في ان نعلن زواجنا بعد ذلك بيوم واحد.»

«هذا ليس أغرب من أن نتزوج بعد عشرة ايام من تعارفنا، ان والدي سيتملكه السرور، صدقيني، فهو قد احبك، كما انه من النوع العفوي البسيط ولن يجد غرابة في الأمر على الاطلاق.»

«وماذا بالنسبة إلى سيندي؟»

«ستكون مسرورة للغاية، لقد كانت تريدك الليلة الماضية ان تنتقلي إلى بيتنا، لقد اخبرتني بذلك بعد استحمامها.»

«ربما كان هذا لأنني جارة غريبة اصنع الدبة، وعندما تنتقل إلى بيتكم تغير رأيها.»

«لماذا؟» وعندما هزت كتفيها، قال: «ان والدك لا شك احدث شرخاً في مقدار تقديرك لنفسك، أليس كذلك؟»

أجابت: «انني لا أكاد اتذكر والدي.»

«قد يكون هذا ولكنني أراهن على انك ما زلت تتذكرين الألم الذي سببه لك.»

فهزت كتفيها مرة أخرى وهي تنظر بعيداً، ما جعل شعرها المكوم فوق رأسها يهبط إلى الأمام ما كاد يغطي وجهها، فقالت: «انني في العادة، أصففه بنفسي فلا اتمكن من تثبيته بشكل جيد.»

قال وهو يزيح الخصلات الهابطة بيده بلطف إلى خلف أذنيها: «هذا كله حسن وجيد، إنما ليس عليك ان تصففيه احدك بعد الآن.»

www.liilas.com

فقالت: «انني لا ابحث عن والد بديل.»

فقال: «يمكنني ان أؤكد لك ان مشاعري نحوك بعيـ
تماماً عن مشاعر الأبوة.» وابتسم لها بمكر ضاحك: «هـ
بنا إذن نفشي الخبر ونواجه ردة الفعل.» ومد يده لـ
فترددت لحظة، هكذا إذن، هل لديها القوة لمواجهة ما
تأتي به هذه الخطة؟

لم تكن جيني تعرف قط مبلغ ما لديها من قوة، فقد طال
كان جدها يتهمها بالرقة الزائدة ورهافة المشاعر اكثر
المفروض، وقد نبهها إلى ان ليس هناك من ينجح في هـ
الحياة من دون كثير من الحزم والتشبث بما يريد. نظر
إلى رايف، حسناً ان قضاء خمس سنوات مع رجل كهذا يبـ
سهلاً في النظر، ولكنه يتطلب كثيراً من الحزم والتشبـ
وتكاد تسمع صوت ميريام تقول ذلك، انها مهمة صعبة ولـ
عليها ان تقوم بها، وإذ استقر عرضها، ابتسمت وهي تسـ
بجانب رايف.

• • •

انتظر هوغو هدوء عاصفة الضحك التي انفجرت أ
طريقة سبود المضحكة في تناول نخب الخطيبين انتظر ن
مبدياً اشمئزازه، ثم قال: «ان لك طبيعة الفلاح.»

فرد سبود قائلاً وهو يربت على ظهر هوغو بقوة: «هـ
ما تقوله لي مرة في اليوم على الأقل، عليك ان تقول شيـ
جديداً، يا هوغو، فقد ابتدأت تصبح كالاسطوا
المكسورة.»

وإذ تمتم هوغو شيئاً بالفرنسية، قال له سبود هاز

انك نسيت يا هوغو انني نشأت في الشمال عند حدود كندا
فرنسا ما جعلني افهم كل شتيمة فرنسية.»

استدار هوغو غاضباً وإذا بقبعته البيضاء العالية تصدم
حدى أوانيه النحاسية العزيزة لديه والمعلقة فوق الفرن
توقعها أرضاً، فصرخ به: «انظر ما سببته لي.» والتقط الإناء
ضمه إلى صدره: «هذا المكان ضيق لانسان فنان مثلي.»

قال رايف يحذرهما: «اسمعا، انتما الاثنين، نحن هنا
حتفل بخطوبة وليس بالتفرج على معركة أخرى بين
اهيين.»

أخذ هوغو يقوم قبعته البيضاء العالية ويسوي من
انها وهو يقول: «لا يوجد سوى طاه واحد هنا.»

قال سبود: «هذا صحيح، وانت الآن تنظر إليه.» وضرب
يده على صدره.

فقال الجد ساخراً: «انتما الاثنان ستجعلان جيني تندم
لى انضمامها إلى هذه الأسرة.»

قالت سيندي بذعر: «انك لن تغيري رأيك، أليس كذلك يا
جيني؟»

أجابت هذه وهي تحتضنها طويلاً، كلا، لن أغير رأيي
بداً.»

فأشرق وجه سيندي: «هذا حسن، ستقيمين هنا إذن
تصبغين اظفاري على الدوام.»

تدخل الجد يقول ضاحكاً: «انني واثق من ان جيني تتطلع
شوقاً إلى ذلك مبهورة الأنفاس، ولكن علينا ان لا نضيع
وقت في جلوسنا هنا، إذ هناك الدعوات والاتصالات
اتفية علينا القيام بها.»

www.liilas.com

قال رايف يذكر والده: «انها ستكون حفلة زفاف مختصرة يا والدي، وأيضاً حفلة استقبال صغيرة، فلا تسرف في إرسال الدعوات.»

رد عليه والده بحدة: «لقد خدمت في البحرية اكثر من ثلاثين سنة، يا بني، وانا اعرف جيداً كيف أتجنب الانزلاق.»

• • •

«ماذا بالنسبة إلى احتفال صغير نعقد فيه الزواج في قاعة المدينة؟» تمتمت جيني بهذا بعد عشرة أيام وهي تجلس في سيارة الليموزين البيضاء بجانب ميريام.

أجابت ميريام دون شفقة: «انها فكرة سخيفة قبل كل شيء.»

«هذا حسن، يا ميريام، الزواج في احتفال صغير افضل من اما ما لم تقله جيني فهو ان سوزان ورايف كانا تزوجا بعرس فخم مع أربع وصيفات. فقد كانت رأت صورتهما عندما نقلت بعض أمتعتها إلى منزل رايف. لم تكن تقوم بالتجسس، وانما تبحث عن درج خال، وبدلاً من ذلك وجدت الصورة. كان في الطريقة التي كان رايف ينظر فيها إلى سوزان، وكأن الشمس تشرق وتغرب معها، وبأصابع مرتجفة، أعادت جيني الصورة حيث وجدتها بالضبط. لن زواجاً ديمياً وعرساً فخماً لا بد ان يذكر رايف بما فقد ولكنها لم تستطع ان تخبر ميريام بذلك، كما ان جيني لم تخبر ميريام بنوع هذا الزواج الذي اتفقت عليه مع رايف وكان من الصعب عليها ان لا تكشف سرها لصديقتها الوحيدة الحميمة ميريام. ولكنها رأت ان من الأفضل ل

تحفظ عهدها لرايف الذي طلب منها الاحتفاظ بحقيقة الأمر لنفسهما، وان كانت في اعماقها تشعر بالذنب من هذا الزواج لأجل المال، ولكن ذلك لأجل مالها هي وليس ماله، كما اخذت تذكر نفسها.

والتفتت ميريام اليها ضاحكة: «أليس ثمة سؤال توجهينه إليّ قبل ان تصبحي امرأة متزوجة الآن؟»

«نعم، هل يمكننا ان نتحول بالسيارة إلى طريق البيت؟»

«آه، انها رهبة العرس إذن.»

«اتسمين ذلك الخفقان في صدري، رهبة العرس؟ انني بحاجة إلى تهدئة ما اشعر به من اضطراب.»

«هذا لأنك أكلت نصف علبة شكولاتة.»

«لقد اعتدت ذلك في الماضي كلما شعرت بالتوتر من شيء ما، فاشعر بالغثيان. ثم انني لم اظفر بنوم جيد منذ الخطوبة، فليس الأمر كما تظنين.»

«كفى دلالاً، فأنت تعرفين انك تريدين الزواج من رايف، وقد علمت بذلك، أنا أيضاً منذ اللحظة التي رأيتكما فيها معاً.»

ردت عليها جيني متذمرة: «اتعلمين ان اكثر اصدقائنا استغربوا زواجنا بهذه السرعة؟ كان بإمكانك ان تحاولي منعي من ذلك، أو على الأقل تنصحيني بالاحتراس.»

قالت ميريام وقد اتسعت ابتسامتها: «ان لديك ما يكفي من الاحتراس، فليس عليّ ان أوصيك به، اما النصيحة الجيدة فيمكنني ان أوجهها اليك الآن.»

«وما هي نصيحتك الجيدة هذه؟»

«اقتحمي الأمر ولا تهابي، وتذكري ما كنت اخبرتك به

www.liilas.com

عني وعن زوجي، وهو انني عرفت انه من ساتزوج وذلك في أول مرة رأيته فيها.»

قالت جيني: «لا بد ان كون المرء متاكداً من الأمر هو شيء حسن.»

«ومن قال انني كنت متاكدة من الأمر؟ اننا لم نعرف ماذا ستكون النتيجة، ولكن كان لدينا الايمان، وهذا يساعدك في تجاوز كل شيء، تذكري هذا وستكونين بأحسن حال.»

شعرت جيني بالتحسن وهي تحتضن ميريام، قائلة «شكراً يا ميريام، فانت صديقة رائعة، ولا أدري ما الذي كنت سافعله من دونك.»

قالت ميريام وهي تغالب دموعها: «هذا يكفي فانت تستحقين قبعتي الجديدة، انك لم تعطيني رأيك فيها، فهل هنالك سبب لذلك؟»

«انها قبعة رائعة، وما اجمل هذه الشرائط والأزهار التي تزينها.»

لقد سخر زوجي منها في البداية، ولكنني قلت له ان هذا رأي رجل لا يستطيع اختيار قميص وربطة عنق مناسبة كل صباح، ومنذ ذلك الحين اخذ يبدي اعجابه بها.»

«انه رجل حكيم.»

«هذا احد الأسباب التي جعلتني اتزوجه، لأنه حكيم، هل تعلمين انني قدمت لرايف بعض النصائح عن الحكمة؟»

«أحقاً؟»

«طبعاً، لقد اخبرته ببعض القواعد التي تجعل الزواج ناجحاً والتي ألصقها دوماً على باب الثلاجة، رقم واحد،

المرأة هي التي تضع القواعد دوماً، رقم اثنين ـ القواعد قابلة للتغيير في أي وقت دون إشعار سابق.

رقم ثلاثة ـ الرجل لا يمكنه ان يعرف كل القواعد ولكن قاعدتي المثلى هي ان (المرأة لا تخطىء أبداً).»

ضحكت جيني: «وماذا قال رايف؟»

«لقد فعل مثلك تماماً، لقد ضحك، انكما متلائمان تماماً.»

حين وقفت سيارة الليموزين امام المحكمة، لم يبق وقت لمواصلة الحديث، كان المبنى من القرميد وذا حافات بيضاء، وكان رايف واقفاً ينتظرهما عند الزاوية مرتدياً بذلة كحلية اللون رائعة التفصيل وقميصاً ناصع البياض.

تساءلت عما سيكون عليه رأيه في ثوبها، فقد كان عبارة عن طقم أبيض بالغ الأناقة وبلوزة حريرية. ذات لون أزرق فاتح، وكان شعرها مرفوعاً على قمة رأسها، كما ان مزينة الشعر قامت بوضع الزينة على وجهها والصباغ على أظافرها وكانت جيني مسرورة جداً بالنتيجة، آملة أن يسر رايف بها أيضاً.

لكن كل ما قاله هو: «من حسن الحظ انك جئت أخيراً، فقد جننتنا سيندي وهي لا تفتأ تسأل متى ستصلين.»

هل هذا كل ما لاحظه رايف بالنسبة إليها؟ وسألته متهكمة: «وأين هي؟»

«في الداخل مع والدي، اظنه يعلمها كيف تلعب بالكرة.»

«أرى انني جئت لانقاذك في الوقت المناسب.»

قالت جيني ذلك باسمة وقد تلاشى ما تشعر به من اضطراب. فقد بدا رايف من الشرود بحيث شعرت بالأسف

www.liilas.com

لأجله، فقد مس مشاعرها الأنثوية ان ترى مثل هذا الرجل الخشن بمثل هذا الضياع.

«ماذا، أليس ثمة ملاحظة على مبلغ ما تبدو عليه عروسك من جمال؟» قالت ميريام ذلك وقد اصيبت بخيبة امل للكلمات العادية الجافة التي اخذ العروسان يتبادلانها.

«معك حق، يا ميريام، انني استحق الجلد بالسياط، تبدين جميلة، يا جيني.»

قالت ميريام راضية: «هذا أحسن.»

ثم قال رايف: «ان لدي شيئاً لك.» وكان ينظر في عينيها بحرارة جعلتها تفكر لحظة بانهما مقدمان على زواج طبيعي تماماً، ثم اخرج من جيبه علبة مجوهرات ناولها إياها.

نظرت اليه مشتتة الذهن: «ظننت ان علينا ان نتبادل الخواتم في مكتب القاضي؟»

«هذا صحيح، ولكن هذا ليس خاتماً، انه شيء آخر، هدية العرس.»

وضعت جيني يدها على فمها بأسف: «ولكنني لم احضر لك شيئاً.»

«لا بأس، افتحيها.»

ففعلت، وإذا بها ترى حلية رائعة الجمال معلقة بسلسلة ذهبية، كانت الحلية من التوباز الأزرق بلون السماء متألقة بالحياة.

قال رايف: «لقد ذكرتني بلون عينيك وأرجو ان تعجبك.»

فهمست: «اعجبتني جداً، شكراً لك.»

«دعيني البسك إياها.»

وبعد ان وضعها، أدارها لتواجهه مرة أخرى: «انها تليق بك تماماً.»

وقالت ميريام ضاحكة: «يكفيكما غزلاً، على جانب الطريق بين الناس، لقد حان الوقت لعقد زواجكما.»

قدم رايف ذراعه لجيني، وتنفست هي بعمق، ثم رافقته إلى الداخل.

كانت الساعة التالية غائمة تماماً بالنسبة إلى جيني، ولكن عدة مشاهد انطبعت في ذاكرتها، مثل سيندي في ثوبها المنقوش بالأزهار، وقد ملأتها البهجة والإثارة، والده كان من الشهود وقد ارتسم على وجهه الزهو والإشراق والسعادة ما منحها الثقة بنفسها، وكانت ميريام تمسح دموعها بمنديلها المطرز، ثم انتهى كل شيء، فقد قالت جيني للقاضي: «نعم... أريد ذلك.» وكذلك رايف.

هذا الجزء بعث التوتر في جسمها، واخذت ترتجف، ثم احتضنتها سيندي وكذلك الجد مهنئاً، ثم عانقتها ميريام ودموعها مازالت تنهمر.

لم يكن ثمة وقت لتبادل أي كلمة مع رايف إذ كان عليهم جميعاً ان يسرعوا إلى المطعم حيث كانت جموع المهنئين في الانتظار.

إحدى المهنئات كانت محامية جيني، ميراندا، وفيما بعد وجدت المرأتان فرصة اخذتا تتحدثان فيها على انفراد، حيث قالت ميراندا: «كان هذا زواجاً مناسباً تماماً تحصلين بعده على حقك في الميراث، وانا مسرورة لذلك بصرف النظر عن نتيجة هذا الزواج، هذا وكنت أريد ان اقول لك انني

www.liilas.com

انجزت كل الأوراق اللازمة لحصولك على الإرث، ومن ثم ستحصلين عليه في اسرع وقت ممكن.»

«هذا رائع، وشكراً لك يا ميراندا، ان شركة ميغا تويز لن يسرها هذا مثلي.»

«هل سببوا لك مزيداً من الإزعاج؟»

«كلا، فقد كانت الأمور هادئة، رغم انني تلقيت مخابرة هاتفية منذ ايام من الرئيس نفسه، بيتر فانبورن، لقد اتصل في اليوم التالي لاتصالي بك.»

«وماذا قال؟»

«كان يريد ان يعلم ما اذا كنت غيرت رأيي.»

«وماذا رددت عليه؟»

«بأنني لم ولن افعل ذلك، ولم يكن يبدو راضياً على الاطلاق كما لاحظت من لهجته.»

سألتها ميريام: «هل اخبرته بشكوك في انه وراء ما حصل لك من مشاكل؟»

«كلا، فأنا لم احصل على الاثباتات بعد، وانا لا أريده ان يسارع فيرفع علي دعوى قذف وتشويه أو ما أشبه.»

«لقد قمت بعين الصواب.»

تمتمت جيني تقول: «هذا ما أرجوه.» ونظرت إلى عريسها آملة ان تكون قامت بالعمل الصواب بالنسبة لهذا الزواج كذلك.

بعد ذلك بساعتين اخرجت جيني قدماً واحدة من حذائها وهي تتمتم قائلة لعريسها الجالس بجانبها: «هل تذكر انك كنت قلت شيئاً عن إقامة حفلة استقبال صغيرة؟»

فأومأ رايف بأسف: «انها حفلة صغيرة بالنسبة إلى

والدي، فهو ما ان يحمل قائمة المدعوين حتى لا يعود ثمة مجال للعودة عنها.»

تساءلت جيني عما إذا كان رايف يرغب في العودة عنها، فسألته: «وهل لديك مانع في ذلك؟»

«كلا طبعاً، ولماذا يكون لدي مانع؟»

لأنه كان متزوجاً مرة من امرأة احبها بصدق، بينما هذا الزواج هو مجرد اتفاق عملي بينها وبينه، وحاولت جيني ان تنبذ هذه الشكوك من ذهنها، وصرفها عن ذلك تقدمهما معاً لقطع كعكة الزفاف ذات الخمس طبقات والتي صنعها هوغو لهما.

وعندما وقف رايف بجانبها يقطعان الكعكة بالسكين، تملكها شعور جعلها تضطرب، شعرت وكأنها تنتمي اليه ما جعلها في غاية التوتر، ذلك انها لم تكن تريد ان تنتمي اليه، فهذا كان مجرد اتفاقية وترتيب مؤقت بينهما، وما ان فرغا من قطع الكعكة، حتى استدارت لتبتعد عنه، ولكن ميريام قالت لها: «انتظري لحظة، ان على كل منكما ان يطعم الآخر منها بيده. فهذا يعتبر حظاً حسناً.»

لا بأس، فقد ذكرت جيني نفسها بأن بامكانها ان تقوم بهذا الأمر دون مشكلة من ناحية مشاعرها، وهكذا اخذت قطعة من الكعكة بينما امسك رايف بالصحن، وسار الأمر على مايرام إلى ان وضعتها في فمه فمست شفتاه اصابعها، عند ذلك كانت تسقط قطعة الكعك على قميصه الأبيض.

لحسن الحظ تراجع على الفور ما انقذ قميصه من التلف، ولكنه اطعمها القطعة بدوره دون أية مشكلة، ولكنها ذكرت

www.liilas.com

نفسها ساخطة بانه قد سبق وجرب القيام بهذه الأشياء اثناء زفافه الأول.

عندما قادها إلى حيث جلسا في الشرفة حيث كان ضوء القمر يغمر الكون، كان السرور يتملكها ما جعلها لحظة من الزمن تنسى انها جيني بنجامين التي هجرها والدها وتزوجها هذا الرجل فقط لكي تنقذ ابنته وترعاها، وانها الآن عروساً بجانب عريسها الذي جعلها تشعر وكأنها سندريلا.

لكن، مثل سندريلا، ما ان تدق الساعة الثانية عشرة، حتى يتبدد الوهم وسيكون عليها ان تستعد للعودة إلى حياتها القديمة... وحدها، همست ميريام: «آه، انها حفلة رائعة، ولكن الوقت قد حان لذهابنا.»

فقالت ميريام: «على جيني ان تلقي بباقة الزهور على إحدى الفتيات، لا تنسيا هذا.»

ألقت جيني الباقة ولكن بمزيد من القوة، واستدارت في الوقت المناسب لتراها تسقط مباشرة على مجموعة من الفتيات، مارة بجانب هوغو الذي بدا عليه الذعر ومن ثم تتلقاها سيندي. وبين ضحكات الجموع ابتسم رايف مزهواً بما صنعت ابنته وقال: «ان ابنتي اعترضت باقة الزهر.»

قال الجد ضاحكاً: «بل ابنتك هي التالية في الزواج.» وكانت جيني تراقب بتسلية كيف استحالت ابتسامة الجد إلى عبوس وذعر وهو يقول: «كلا، هذا غير ممكن، فهي لن يسمح لها حتى بالخروج مع الشبان قبل ان تبلغ الثلاثين.»

لم يكن هناك وقت لمزيد من الاحاديث حيث ان رايف

حاول الهرب قبل ان يأخذ والده في إعداد الكثير من إجراءات التوديع، ولكن الوقت كان قد فات، وكان على رايف وجيني ان يركضا تحت وابل من الأرز الذي كان المدعوون ينثرونه عليهما ويمدهم به سبود.

ما ان تحركت بهما السيارة الجيب، حتى سمعت جيني ضوضاء تصم الآذان ناتجة عن ذيل طويل من علب التنك كان قد علقه بالسيارة سبود والجد اللذان وقفا يراقبان ذلك وهما يضحكان.

وهكذا كانت تقاليد الزفاف الحقيقي كاملة ما جعل جيني تشعر بالقلق بالنسبة إلى ما سيكون عليه شهر العسل.

www.liilas.com

الفصل السادس

«أنك تفهمين لماذا حجزت غرفة واحدة في الفندق الذي سننزل فيه، أليس كذلك؟»

قال رايف لها ذلك وهو يعود إلى مقعده في سيارة الجيب بعد ان كان توقف لكي ينزع علب التنك المربوطة إلى السيارة.

أجابت جيني: «نعم، افهم ذلك، قد تحاول حماتك ان تتفحص الأمر، وكما كنت قلت، علينا ان نحفظ المظاهر لأجل مصلحة سيندي.»

«هذا صحيح، فقد اخذت حماتي في التطفل ودس انفها في شؤوننا، حتى بلغت بها الصفاقة ان اخذت تتصل هاتفيا ببعض المدعوين إلى حفلة الزفاف. حيث اخذت تحقق معهم.»

تمتمت جيني تقول: «ليس هذا كل ما فعلته بصفاقاتها تلك.»

فسألها: «ماذا تعنين؟»

«إنسى ذلك.»

«مستحيل، اتراها... اتصلت بك؟»

فأومأت جيني: «لم لكن اريد ان انكر هذا.»

شتم رايف بصوت خافت ثم تمتم يقول: «مضايقتها لي شيء، ولكن مضايقتها لك شيء آخر لن أسكت عنه، ماذا قالت لك؟»

«لا شيء لم استطع الإجابة عليه.» لقد قالت المرأة لها ان رايف يحب سوزان ولا يمكن لامرأة أخرى ان تأخذ مكانها في حياته، وكان هذا شيئاً كانت جيني تعرفه مسبقاً، ورغم ذلك فقد كان في سماعها شخصاً آخر يقوله، ما ضايقها، لقد آلمها حقاً، ولكنها تغلبت على شعورها هذا، أو هذا ما سمحت لنفسها به، وتابعت تقول: «ولعلك تحب ما سأخبرك به، وهو ان المرأة تلك تملك مجموعة من دبيتي الفنية.»

«انت تمزحين دون شك.»

«بل جادة.»

«وكيف عرفت ذلك؟»

«هي التي اخبرتني، وذلك قبل ان تلغي طلباً بالشراء كانت قدمته إلى شركتي منذ اسابيع.»

فشتم رايف مرة أخرى، فقد كان يعرف مبلغ الحقد الذي يضمر به قلب حماته، وقال: «انا آسف.»

«لست بحاجة إلى الأسف، فأنا لا أريدها ان تمتلك أياً من الدببة التي اصنعها، على كل حال، فهي ما كانت لتمنحها بيتاً حسناً.»

لم يجد رايف سوى ان يضحك لما قالته: «انك تتكلمين عن دببتك وكأنها حية.»

«انها حية في نظري، فهي اطفالي، صنع يدي.»

وجد رايف نفسه يتساءل عما اذا كانت جيني تريد ان تنجب اطفالاً، ولكنه توقف عن ذلك، مذكراً نفسه بأن ليس هذا هدف هذا الزواج، وكانت جيني تقول: «لقد تعودت دببتي نوعاً خاصاً بها من الحياة، فعندما انتهي من وضعها مع بعضها البعض ثم أشرع في صنع وجوهها، تبدو وكأن

www.liilas.com

الحياة دبت فيها... كل منها له شخصيته الخاصة، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني اتخذ مساعدة، وذلك ليكون عندي مزيد من الوقت لنصنع المزيد من الدببة بينما استطيع في الوقت نفسه تلبية الطلبات التي تنهال عليّ لتصميماتي المحبوبة، ولكن فكرة ان اصنع تصميماً لمرة واحدة يجعل من الصعب علي الافتراق عن دببتي.»

صعب؟ وتحرك في مقعده بقلق، انها لم تعرف معنى هذه الكلمة، واضاء وجهها دفقة ضوء من مصباح سيارة قادمة وهو ينظر اليها، بدت له جادة تماماً وهي تجلس بجانبه في طقم الزواج الأبيض، كان واضحاً ان ليس لديها فكرة عن مشاعره نحوها، انها تثق به حالياً.

انهت جيني كلامها قائلة: «وبهذه الطريقة يكون بإمكاني ان اتابع تصميماتي المفضلة، ثم اقوم في الوقت نفسه بصنع دببة فنية جديدة.»

قال لها: «لماذا تسمينها دببة فنية؟ لا اظنك تعنين انك تلبسينها ملابس تجعلها تبدو اشبه بالفنانين؟»

«كلا، الدببة الفنية هي التي اقوم بصنعها كلياً بنفسي... من تفصيل القماش إلى خياطة ملابسها، اما الدببة الأخرى والتي تشاركني فيها المساعدة، فهي دببة ذات التصميم الفني، وعندما تشرع الشركة بالعمل، سيكون بإمكاني شحن اربعين أو خمسين من دببتي المصممة، اسبوعياً، بينما يستغرق عمل دب بنفسي اسبوعاً كاملاً.»

«يبدو ان الدب الواحد يكلفك الكثير من العمل.»

«ثمة اشياء تتطلب عملاً كثيراً.»

لم يستطع رايف ان يناقشها في ذلك، كما انه لم يعرف

ماذا يقول بهذا الشأن، وهكذا غير الموضوع بقوله: «اظن الجميع تقبلوا عذرنا في ان عدم امكاننا الذهاب في شهر العسل هو لانك ستفتتحين العمل خلال ايام قليلة.»

أجابت: «لم يكن هذا عذراً فقط بل هو الحقيقة، إذ من المستحيل ان اغيب عن العمل اكثر من ليلة واحدة.»

رد بحدة: «لم نكن نستطيع تجنب السفر معاً، إذ كان سيبدو غريباً ان نترك حفلة الاستقبال لنصعد إلى الطابق العلوي معاً امام المدعوين.»

شعرت بألم عميق لما قال، إذن فقد كان يرى وجوده معها شيئاً غريباً، فهل هذا ما تريد سماعه عروس جديدة؟ وتملكتها المرارة، لقد كاد رايف يعترف بأنه سيكون من الصعب بالنسبة اليه، التعود على فكرة حياتها معه.

حسناً، هذا ليس اكثر صعوبة مما ستجده هي، حدثت نفسها بذلك محاولة ان تمنع نفسها من ان تتألم اكثر مما حدث، ولأجل ذلك، حاولت ان تركز موضوع الحديث على ما يخصها، وهي شركتها: «ان ما يحيرني ويملأني سروراً هو السرعة التي اصلح بها السيد فادن المخزن. عندما نعود سيكون كل شيء جاهزاً لافتتاح العمل خلال يومين.»

فأومأ رايف قائلاً: «ان فادن مقاول ماهر، ولو كنت سألتني لأخبرتك بذلك.» قال ذلك باستعلاء وثقة ما اثار غيظها حقاً، فقد تملكها الضيق حتى تمنت لو ترفسه، فهو منذ تركا الحفلة، لم يقل اكثر من عشر كلمات وكانت كلها خطأ، فقالت له: «لا أريدك ان تستعمل لهجة الاستعلاء هذه معي.»

«أي لهجة استعلاء؟ كنت فقط اخبرك بالحقيقة.»

www.liilas.com

«وتخبرني بها وكأنني لا املك عقلاً يفكر.»

«انك عدت حساسة مرة أخرى.»

«وانت أصبحت لا تطاق.» قالت هذا بحدة، ساد بعد ذلك الصمت، فجلست جيني في ناحيتها من السيارة الجيب حيث اخذت تحدق إلى الخارج من النافذة، وهي تتساءل كم من الأزواج ابتدأوا رحلة شهر العسل بالمجادلات.

وبينما هذه الأفكار تتملكها، اخذت تدير المحبس الذهبي في اصبعها بضيق، فهي لم تتعود لبس الخواتم، فهي تضايقها اثناء خياطة القماش، وكان هذا المحبس واسعاً، يزينه صف من الماسات ما يجعله يبدو محبساً وخاتماً في نفس الوقت، وأعاد اليها منظر المحبس شعورها نحو رايف، فتنهدت، وإذ سمعها تتنهد، تمنى لو يتنازل عن أي شيء في سبيل ان يعرف بماذا تفكر، فقد كانت تتصرف بمرح كالقطة، سريعة الانفعال، لا تأخذ الأمور بسهولة ومتحفزة للإزعاج، وبدت هذه الليلة امامه وكأنها ستمر مزعجة للغاية.

عندما وصلا إلى الفندق، وصعدا إلى غرفتهما، اصبحت الأمور اكثر صعوبة، فقد رأته جيني لا يكاد يصبر على القاء الحقائب على الأرض ثم النزول إلى الطابق الأسفل حيث كان ثمة مطعم بثلاث نجوم.

كان العشاء حافلاً بالغرابة والتوتر، وقالت بيأس: «لقد ظفرنا بجو جميل.»

لكنه لم يجب، فحاولت مرة أخرى: «انه دافيء بالنسبة إلى هذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟» ولكن رايف مازال لا يجيب.

فحاولت للمرة الثالثة: «اوراق الشجر رائعة حقاً، هل هي دوماً بهذه الألوان.»

«اظن ذلك.»

هذه كانت كل مساهمات رايف في حديث العشاء، وحاولت هي ان تبقى صامتة فترة، ولكن ذلك كان اكثر صعوبة من قيادة الحديث خصوصاً اذا كان متكلفاً رسمياً، ثم تكلما معاً في وقت واحد: «هل انت...؟»

«اتراك...؟»

فقالت: «قل انت أولاً.»

«كلا، السيدات أولاً.»

لكنها نسيت ما كانت تريد قوله، وهكذا ارتجلت تقول: «كنت اريد ان اسألك إذا كان الروستو اعجبك.»

«انه نفس الروستو الذي تناولته انت.»

«وجدته جيداً جداً، اتعرف؟ لقد اخبرتني صديقة مرة بأنني اذا تناولت ملعقة من عصير الليمون بين لقمة وأخرى يجعل المذاق أطيب.»

وبينما كانت جيني تتكلم، كانت تفكر في مبلغ حماقتها، فهي لم تعرف مثل هذا الخجل والارتباك منذ كان عليها القاء محاضرة في مدرستها الثانوية عن تربية النحل.

رغم ان رايف كان يتظاهر باهتمام مؤدب بحديثها فهي لم تصدق انه قد سمع كلمة واحدة مما قالت، كان بإمكانها ان تراهن على ان استمتاعه بما كانت تقول كان بقدر استمتاع النحل بالسباحة.

شعرت بالراحة تقريباً للنجاة من التوتر الذي كان يتملكها في المطعم، وبذلت جهدها في الابتعاد عن طريق رايف اثناء

www.liilas.com

فتحها لحقيبتها المخصصة لاستعمال ليلة واحدة، مبقية [illegible] انكاره. فقد كان انتباهه مركزاً على جيني، يلاحظ وجهها اكثر اشيائها في داخلها وكأنها جاهزة لسفر مفاجئ، وشفتيها وحركات يديها الرشيقة، ولم يكن هذا يعني انه لم وذهبت بها الافكار إلى الماضي، عندما جهزت هي [illegible] كن يستمع اليها، ولكن جمال صوتها الذي يمتزج فيه الثلج ووالدتها، نفسيهما للانتقال إلى منزل جدها، حينذاك لـ[illegible] النار، كان يلهيه عن كل شيء، ذلك الصوت الذي اعجبه منذ تخرج جيني اشياءها من حقيبتها، مبقية إياها تحت [illegible] داية ومازال.

السرير اكثر من اسبوعين، ذلك ان داخل الحقيبة كانت [illegible] لكن رايف كان قد تعهد لجيني بانه لن يستعجلها إلى أي المساحة الوحيدة التي كانت تشعر بأنها تخصها، فالمنزل [illegible] شيء، فما زال امامهما وقت طويل... خمس سنوات كاملة، والغرفة والسرير لم يكونا كذلك... وقد تختفي جميعاً فجأة [illegible] حولت عيناه ناحية السرير، ليس من الضروري ان يناما في أية لحظة كما كان اختفى والدها من قبل.

قل لها رايف من جانب الغرفة الخاص به: «لماذا [illegible] ت وهو يبتعد عن السرير متجهاً إلى النافذة حيث فتحها [illegible] خذ يستنشق هواء الخريف البارد، سألته مترددة وهي تستعملين الحمام أولاً؟»

«لا بأس.» حملت البيجاما والمعطف المنزلي ثم اسرعت [illegible] على عتبة الحمام: «هل انت بخير؟»

تدخل الحمام وتقفل بابه خلفها، اخذ صدى صوت اقفا[illegible] أجاب بصوت خشن: «بأتم خير، انني فقط بحاجة إلى باب الحمام يتجاوب في مسامع رايف مرة بعد أخرى [illegible] شيء من الهواء الطلق، وسأعود بعد عدة دقائق.»

وتعكر مزاجه، فقد اظهرت بكل وضوح انها مازالت لا تث[illegible] وخرج من الغرفة قبل ان تتلفظ بكلمة، واخذت هي تفكر به، بالرغم من انه كان في منتهى حسن السلوك اثناء الخط[illegible] انه ربما كان يفكر في زوجته الراحلة، زوجته القصيرة الأمد، والتي كانت عبارة عن عشرة ايام امضا[illegible] حقيقية... المرأة التي أحبها... وهذا يفسر الألم البادي مشغولاً في التحضير والحجز لحفلتين خاصتين، هذا ع[illegible] على وجهه.

[illegible] قد أصبح واضحاً لها تماماً ان رايف لم يعد يطيق حتى عن حفلة الزفاف.

ومنذ حفلة استقبالهما اخذ التوتر في اعصاب جيني [illegible] ساء معها في غرفة واحدة، واخذت شفتاها ترتجفان ما يزداد كما انها بدت متوترة طوال فترة العشاء ومستعدة على ان دموعها على وشك الانهمار، لم تكن هذه بداية كالزجاج، ولعلها كانت تخاف من رايف، كما خيل إليه ولـ[illegible] ر بالخير بالنسبة للزواج.

أراد ان يثبت لها خطأها وذلك بأن يتصرف هذه الليلة كـ[illegible] اخذت تنظم غطاء السرير محاولة شغل نفسها مغالبة مهذب حتى ولو قتله هذا، وقد يحدث هذا فعلاً بالنظر إ[illegible] دموعها، ورأت انه كان عليهما هي ورايف ان يناقشا شعوره الحالي، طوال فترة العشاء لم يكن بإمكانه ان [illegible] ترتيبات نومهما قبل الآن، ولم تكن قلقة في الواقع،

فقد كان رايف قد طمأنها إلى انه تزوجها لأجل ابنته فقط، وانها كانت مخطئة، فقد انهمرت دموعها بصمت، ولكن فقد كانت تدرك انها مجرد وسيلة ليس إلا.

بينما كانت تتوقع ان علاقتهما لا تلبث ان تصبح حميمة واحدة... وإذ كان رايف مايزال غارقاً في تلك المباراة فهي لم تكن تتوقع ان يحدث ذلك بين ليلة وضحاها، ذلك الشك حتى في انه كان لاحظ بكاءها، ومرة معظم الناس الذين يتزوجون، يكون الحب رائدهم في ذلك، كانت مخطئة، فقد سألها: «ما الذي حدث؟» لا شيء؟» وأبقت وجهها مدفوناً بين الأغطية محاولة أو ربما مجرد الرغبة القوية والتي كانوا يظنونها حقيقياً.

لا يصدر لبكائها صوت.

«ألا تستطيعين النوم؟»

لم يكن هذا هو الحال معها ومع رايف، فكل منهما كان صديقة واحدة واكون على مايرام.»

له اسبابه العملية للزواج والتي جعلتهما يقرران الزواج فقال: «لا بأس.»

الحب ولا الرغبة كان لهما دور في ذلك.

لم تستطع ان تصدق هذا، فقد صدق المعتوه كلمتها وعاد لا بأس... ربما بامكانها ان تسمح بشيء من الرغبة شاشة التلفزيون.

ناحيتها... وقد يجدها رايف جذابة احياناً، عندما لا يجلست وقد تملكها الغضب فجأة: «اسمع، انني لا اتزوج في سوزان... انفتح الباب ودخل فشدت معطفها المنز يوم، فليس من الغريب ان اجلس هنا أبكي كفتاة معتوهة، حول جسمها، وكان الهواء خانقاً.

انني لا أبكي مطلقاً، ابداً، فانا اكره البكاء، خصوصاً قال لها وهو يشير إلى السرير: «هيا إلى النوم... امام الغرباء.»

فسأجلس للتفرج على التلفزيون قليلاً قبل النوم.»

قال بجفاء: «انني لست غريباً تماماً، انني زوجك الآن.»

ثم جلس في كرسي ذي ذراعين، وسرعان ما حسناً، لم اتعود البكاء امام الأزواج، كذلك.» قالت ذلك مستغرقاً في التفرج على مباراة كرة القدم. ولم تتنه عادت دموعها إلى الانهمار بصمت.

عضلة في وجهه حين خلعت معطفها وانسلت تحت الغطاء لا بأس.» قال ذلك وهو يتقدم فيجلس بجانبها في الفراش.

سألته: «هل ثمة بأس في ان اطفىء النور قرب السرير ومضى يمسح دموعها.

سألته ذلك شاعرة بغصة في حلقها.

فأجاب: «هذا حسن بالنسبة إليّ.»

استلقت لمدة ساعة تقريباً، لقد ظنت فعلاً انها قد تغ اعلم ذلك، اغمضي عينيك فقط وارتاحي، وستشعرين على تلك الرغبة في البكاء التي تملكتها منذ وصولها سن بالغ بعد ذلك، صدقيني.»

www.liilas.com

أخيراً، اخذت جيني تشعر بثقل في اجفانها، كانت متعـ
حقاً، فبين الاستعداد للزفاف وبين افتتاح شركة دي
بنجامين لم تكد تحصل على اكثر من أربع أو خمس ساعات
من النوم يومياً طوال الأسبوع الماضي.

عندما فتحت جيني عينيها أخيراً، كان ضوء النهـ
منتشراً في الخارج وكان رايف نائماً بقربها، لقد شعرت
احياناً، اثناء الليل، وهو يجذب الغطاء عليهما معاً، وكـ
قميصه الأبيض قد اصبح مكرشاً بشكل سيء لا بد ان يكـ
بنطلونه كذلك، فقد كان شبه جالس ومتكئاً على الوسادة في
رقدة غير مريحة.

كأنه أحس بتحديقها به، ففتح عينيه فجأة واخذ يحـ
في عينيها بعينيه القاتمتي الزرقة، وعندما حاول النهوـ
اذا بآهة تفلت من بين شفتيه، ورفع يده يدعك عضـ
متشنجة في رقبته، سببها عدم ارتياحه اثناء النوم، وشعر
جيني بمسؤوليتها تجاه ما حدث له، فقالت: «انني آسـ
لبكائي طوال الليل على كتفك ما منعك من النوم بارتياح
فقال: «ولكنك كنت تشعرين بالوحدة...»

«بالوحدة؟» وابتعدت عنه بسرعة. «ظننتني اشـ
بالوحدة ما جعلك تشعر بالأسف لأجلي، وهذا هو سـ
رقتك نحوي؟»

«ليس هذا ما قلته.»

«بل ما عنيته بكلامك.»

«لا تبدئي بإخباري بمعنى كلامي، فأنا اعرف ما كـ
أعنيه.»

«اخبرني إذن.»

أخذ يتمتم عابساً: «ما اسخف هذا.»

«انا معك في هذا، وأؤكد لك ان ليس ثمة حاجة بك للشعور
الأسف لأجلي.»

فقال ببطء: «لم اكن اشعر بالأسف لأجلك.»

«ماذا كان شعورك إذن؟»

«الرغبة فيك.»

قالت وهي تقفز من السرير ويديها على وركيها: «اذن
الذنب ذنبي. هذا هو السبب في انني اردت ان انتظر، لأن
الوقت الوحيد الذي لا تجادل فيه هو عندما نكون...»
سكتت فجأة. كانت في عينيه نظرة جعلت يديها تتراخيان
جانبيها وهي تقول: «اعني ان علينا ان نتعلم كيف نعاشر
بعضنا البعض بشكل افضل.»

«هذا صعب مادمت تسيئين تفسير كل ما اقول أو افعل.»
د عليها بذلك بضيق ظاهر.

استفز غضبه غضبها، فردت بحدة: «ربما إذا اخبرتني
ما تفكر فيه بين حين وآخر، لما شعرت بأنني في الظلام
لنسبة اليك، ربما كان بإمكان زوجتك ان تقرأ افكارك، اما
انا فلا.»

وسرعان ما ادركت جيني غلطتها وهي ترى ملامح رايف
توتر، فحاولت ان تصلح من الأمر، فعادت تقول: «اننا فقط
بحاجة إلى مزيد من الوقت ليعرف بعضنا بعضاً بشكل افضل
...»

فقاطعها بقوله: «حسناً، خذي ما تشائين من الوقت إذن.»
ثم سار إلى الحمام فدخله صافقاً الباب خلفه بعنف، وبعد
لحظات سمعت صوت الماء يتدفق.

www.liilas.com

شعرت برغبة في الهرب من اقرب مخرج، فهي قد اثارت
الأمور الآن بارتكابها خطأ نكر سوزان، ولكن إلى ان يصل
رايف إلى النتيجة المطلوبة، فهي لن تجعل نفسها مجرد
أداة ترفيهية ينسى بواسطتها غاليته سوزان لعدة ساعات.

كانت تعلم انها لم تكن تريد حبه، وأخبرت نفسها بانها
مازالت لا تريده، ولكن عندما ينام معها لم تكن تريد خيال
زوجته الميتة في الفراش معهما، كذلك وهذا المطلب ليس
كثيراً عليها.

كانت فترة الإفطار هذا الصباح يسودها نفس الجو
المتوتر الذي ساد فترة العشاء الليلة الماضية، وكان التوتر
يتملك بجيني.

قال لها ببطء: «هل لك بالاسترخاء؟ فأنا لن أقفز اليك من
فوق المائدة، بإمكانك ان ترخي تشبثك بتلك الشوكة حتى
الموت.»

«اسمع، هذا الأمر لن ينجح إذا كان الواحد منا سيأخذ
بعنق الآخر في كل دقيقة، ما اعنيه هو ان علينا ان نحاول
وننجح، فأنا اعلم ان من المربك جداً ان يتعلم المرء كيف
يعيش مع شخص آخر.»

«كيف علمت هذا؟»

سألها ذلك بارتياب وقد غلى الدم في عروقه وهو يظنها
كانت تعيش مع رجل آخر.

أجابت: «لقد كنت مرتبكة جداً حين انتقلت لأعيش مع
جدي عندما كنت طفلة، ولكنني نجحت في ذلك في النهاية
كل ما اطلبه هو ان نقوم بهدنة اثناء فترة التعارف.»

«هدنة؟»

«نعم، وقف نار مؤقت.»

«حيث كل منا يعود إلى زاويته بكل وقار؟ هل هذا ما
تريدين؟»

وإذ أومأت بالإيجاب قال: «جميل جداً، إذا كنت تريدين
الأمر بهذا الشكل.»

لم تعد جيني تدري ما تريد، ما سبب لها صدمة. ولكن
ليست اكثر من فكرة مشاركته غرفة النوم للخمس سنوات
التالية، لأن هذا ما سيحصل بالضبط عند عودتهما إلى بيته.

www.lilas.com

الفصل السابع

«ها قد عدت يا والدي، لقد اشتقت اليك.» هتفت سيندي بذلك هي تركض لمقابلتهما في اللحظة التي وقفت بهما السيارة امام مطعم مورفي.

فانحنى رايف يرفعها بين يديه: «وانا اشتقت اليك أيضاً يا حلوتي.»

«عندي سؤال، يا والدي.»

«من العادة ان يكون لديك مليون سؤال، يا حلوة، هيا قوليه، ما الذي تريدين معرفته هذه المرة؟» قال لها ذلك راجياً ان لا يكون (من أين يأتي الأطفال) مرة أخرى.

فسألته: «هل عليّ ان اقول لجيني (ماما) الآن؟»

أدرك رايف انه كان ينبغي ان يعد نفسه لهذا، وهذا كان موجوداً ذهنياً، ولكنه لم يستطع ان يتظاهر بأنه لم يشعر بوخزة من الشعور بالذنب نحو ذكرى سوزان، ولكن الدهشة تملكته وهو يرى جيني تتقدم لنجدته، قائلة لسيندي: «لا زال بإمكانك ان تقولي لي جيني، فلا مانع لدي من هذا، واحببت ان تقولي لي ماما يوماً ما، فهذا حسن جداً، أيضاً وسأكون والدتك الثانية.»

«نعم، لا بأس في هذا، اتعلمين ما حصل؟ انظري.» ومدت يديها اليه تريه كيف تقشر الدهان عن اصابعها رغم ان جيني كانت صبغتها لها منذ ايام قليلة فقط: «لقد اصبحت اظافري بشعة.»

«بشعة؟» وهفا قلبها للسهولة التي تقبلتها سيندي بها في حياتها، هناك فرد على الأقل في أسرة مورفي لم يعتبر وجودها بينهم غريباً.

«هيا يا حبيبتي، اعطي جيني فرصة تستريح فيها وتستقر هنا قبل ان تكلفيها بصبغ اظافرك، اتفقنا؟» قال لها ذلك وهو يعيدها إلى الأرض.

سألته: «هل كان شهر عسلكما رائعاً؟»

فقال: «نعم، كان رائعاً.»

«ماذا احمل معكما يا والدي؟ أريد ان احمل شيئاً.» وأصرت سيندي على ان تساعد والدها في اخراج الحقائب من الجيب.

هذا بينما حملت جيني حقيبتها الصغيرة وتوجهت إلى الداخل. لم يكن المطعم قد فتح بعد، وهكذا سارت خلال المطعم الفارغ نحو السلم المؤدي إلى شقتهم الخاصة، عندما كانت تصعد إلى الطابق العلوي، أدركت انها تفعل ذلك لأول مرة بصفتها زوجة رايف.

كانت قد دخلت إلى غرفة نوم رايف من قبل وذلك حين نقلت بعض الصناديق المحتوية على حاجياتها من منزلها. كانت تعلم ان الطابق الثالث بأجمعه، وكان من قبل غرفة مخزن، قد حول إلى جناح لرايف مكملاً بحمام خاص، لم يكن هناك أثاث كثير، خزانة بأدراج وسرير ضخم ذو أربعة أعمدة كان رايف قد اعترف بأنه اخذ طرازه من مجلات الديكور، وكانت هناك غرفتان للأمتعة وضعت أشياءها في احداهما.

وقفت جيني بارتباك قرب عتبة باب غرفة النوم هذه

www.liilas.com

وكأنها تخاف المغامرة بدخولها، فقد شعرت في هذه اللحظة بأن شخصية زوجته السابقة مازالت تسيطر في المكان بقوة.

وكأن رايف عرف ما يجول في خاطرها، فقال برقة: «لم تنم سوزان قط في هذه الغرفة، ذلك ان تجديد الطابق الثالث لم يتم إلا بعد وفاتها، لقد كنا ننام في الغرفة الاضافية في الطابق الأسفل وقد احضرت هذا الأثاث عندما انتقلت إلى هنا، سنكون بحاجة إلى خزانة أخرى بالدراج لأجلك.»

كانت الغرفة تبدو في عيني جيني مكشوفة خالية فالسجادات زرقاء قاتمة والجدران عارية غير مدهونة.

«هذا هو بيتك الآن، فلك الحرية في القيام بأي تغيير ترينه ضرورياً.»

لم تشعر بأنه بيتها، فهي لم تكد تجد وقتاً للإستقرار في بيتها، وها هي ذي الآن تنتقل إلى جواره، ولم تعرف جيني ما ستفعله بالنسبة إلى بيتها، فهي لم تقرر شيئاً بشأنه بعد، ولكنها كانت تحتفظ به حالياً في حالة ما قد يحصل. وتابع رايف قائلاً: «ربما علينا ان نناقش مسألة ترتيبات النوم، إذ سيكون علينا ان نتشارك في هذه الغرفة لنفس السبب الذي تشاركنا فيه في تلك الغرفة الليلة الماضية.»

أومأت جيني متفهمة بينما عاد هو يقول: «ان لدي سرير جيش قديم يمكنني ان احضره إلى هنا إلى ان تستقر الأمور.»

ردت جيني بسرعة: «هذا سيكون حسناً بالنسبة إليّ.»

«لم اكن اعني انه سيكون لأجلك، بل لأجلي انا.» لقد سئم

واعتبرها مسؤولة عن التشنج الذي حدث له في رقبته، وهي لا تريد ان يحملها اكثر من ذلك، فقالت له: «كلام فارغ، أنا من سينام عليه.»

فقال يحذرها: «لكنه ليس مريحاً.»

«لا بأس.»

«حسناً، كما تشائين، ولكن عليّ ان اقول ان السرير من الاتساع بحيث يمكننا النوم عليه، نحن الاثنين، دون أي مشكلة.»

مشكلة؟ اتراه يعتبرها كذلك؟ وقالت: «لا بأس.»

«كما تشائين.»

• • •

لكن السرير العسكري الصغير الحجم لم يكن جيداً بطبيعة الحال، فهذا ما اكتشفته جيني وهي تنام عليه تلك الليلة، كان ضيقاً بالنسبة اليها حتى انها لم تكن تستطيع التقلب عليه، وتأوهت، متشوقة إلى فنجان كاكاو يشعرها ببعض التحسن، ولكنها تركت كل علب الكاكاو في بيتها كيلا تفاجئها رايف وهي تتناول مثل تلك الأشياء التي تزيد الوزن، وكذلك تركت في بيتها ملاءات السرير الرائعة النعومة والموجودة على فراشها الوثير للغاية...

وتنهدت مرة أخرى.

فتمتم رايف: «يا له من أمر مضحك.» جلس في فراشه وأضاء النور: «انك لن تستطيعي النوم على ذلك الشيء.» وكشف الغطاء عن الناحية الأخرى من سريره الواسع وهو يقول: «تعالي إلى هنا.»

www.liilas.com

عندما ترددت قال: «اسمعي، ليس لك ان تخافي مني هذه الليلة، إلا اذا كنت انت لا تثقين بنفسك.»

نظرت اليه بارتياب: «وكيف لي ان اعلم انك لن تحاول معي شيئاً؟»

أجاب وهو يحملق فيها: «لأنني لست في مزاج حسن. والآن هل ستأتين لتنامي هنا أم انك ستبقين على سرير المسامير ذاك؟»

وهكذا قررت جيني حانية الرأس، ان الأذى الذي يصيب الكرامة هو اخف من الأذى الذي يصيب العامود الفقري. تقدمت نحو السرير وانسلت بين الأغطية حيث استلقت متشبثة بطرف الفراش.

وهذه المرة كان رايف هو الذي تأوه ثم قال: «اذا انت رقدت بهذه الطريقة، سرعان ما ستجدين نفسك وقد سقطت على الأرض وكسرت ساقك، ارجعي إلى الخلف إذ يوجد مساحة من الفراش تقارب الميل في انتظارك لكي ترتاحي.»

فامتثلت جيني لما قال، ووجدت فعلا، مساحة كبيرة، واعترفت لنفسها بأسى بأنها تبدو فتاة معتوهة وهي تتشبث بطرف الفراش كمتسلق الجبال الذي اصيب فجأة بالدوار. وهكذا حاولت الاسترخاء ما جعلها في منتهى الراحة، وكان آخر ما فكرت فيه قبل ان تستغرق في النوم، هو ان تشتري ملاءات جديدة بنعومة تلك التي خلفتها في بيتها.

• • •

حدّق رايف في وجهها مستغرباً السرعة التي استغرقت فيها في النوم، وكان ضوء القمر على وجهها يسمح له بأن

يراه بوضوح، اخذ يتأمل وجنتيها العاليتين، بياض اذنها العاجي، اهدابها الكثيفة الطويلة، وإذ رأى خصلة من شعرها قد سقطت على وجهها، مد يده بحركة عفوية يزيحها جانباً. وكانت بشرتها بلون القشدة ما جعلها متلهفاً للمسها. وهناك في الظلام اعترف رايف بأن شعوره نحوها كان اعمق مما كان يريده ان يكون نحو عروسه. وقد آلمه ذلك، في الحقيقة، ففي الليلة الماضية قالت انها تريد مزيداً من الوقت، وهو الآن يميل إلى موافقتها على ذلك، فهو بحاجة إلى وقت يكبح فيه هذا الإفتتان بها، والذي كان يهدد بأن يصبح اكثر من مجرد افتتان، وهكذا وضع كابحاً لرغبته قبل ان تخرج الأمور عن سيطرته.

• • •

استيقظت جيني شاعرة بالحماية والرعاية، ومضت لحظات قبل ان تدرك انها تستيقظ بقرب رايف للمرة الثانية، وقد ابتدأت تتعود على هذا والذي لم يكن من الحكمة في شيء.

مع ذلك لم تشأ ان تغادر السرير الآن، وكان هو مايزال نائماً لحسن الحظ، وهكذا بقيت حيث هي، تكاد تسمع دقات قلبه. ابتسمت وهي تفكر في ان بامكانها ان تتعود ذلك، وهذه هي المشكلة، ولكن ابتسامتها تلاشت وهي تستعيد شكوكها، فليس من مصلحتها الاعتماد على رايف اكثر مما ينبغي، ذلك ان وضعهما مؤقت ومشاعرهما مختلطة كلياً. وتنهدت، على الأقل مشاعرها هي كانت كذلك.

www.rilas.com

كان افتتانها به بالغاً، وذلك بشكل لا يقاوم، وليس هذا فقط بل هو يحرك عواطفها وإعجابها وضيقها وغضبها... إلى آخر القائمة.

ماذا بالنسبة إلى الحب؟ وهمس صوت خافت في اعماقها، ألا تريدين ان تحظي به؟ ان تجعلي رايف يحبك كما احب سوزان؟ ان تجعليه ينظر اليك وكأن الشمس تشرق وتغرب فيك؟ وكأنك مركز عالمه؟

لكن لا فائدة من تمني ما لا يمكنها الحصول عليه، هذا ما كان جدها حذرها به عندما ذهبت إلى فراشها باكية وهي طفلة تريد ان تكون لديها قطيطة، فهذا لا يعدو أن يكون إضاعة للوقت.

ما الذي تفعله امرأة في موقف كهذا؟ أخذت جيني تتساءل، وجاءها الجواب، تلاحق ما تريده.

نهضت متكئة على مرفقها ومضت تتأمله، كان يبدو بصحة جيدة رغم التعب البادي عليه، ولم تستطع ان تقاوم رغبة تملكتها في ان تمر بيدها على شعره الكثيف الفاتن اللون، واستدار هو اليها، ثم اذا به يهمس قائلاً: «سوزان...»

قفزت جيني من السرير وكأن عقرباً لسعها، دون تبالي بأنها ايقظت، بحركتها هذه، رايف من نومه، فقد فتح عينيه على اتساعهما في الوقت الذي كانت جيني تسرع في إلى الحمام ثم تصفقه خلفها بعنف.

جلس في فراشه عابساً ومازال مسيطراً عليه الحلم الذي رآه لتوه عن سوزان، رأى انه كان يحاول اللحاق بها ولكن عندما اصبح على وشك الوصول إليها، استدارت لتم

وهي تلوح له بيدها مشيرة إليه بأن يعود، وأخذ الآن يتساءل يعود إلى ماذا؟ إلى جيني؟

وقفت جيني تحت الدوش تاركة الماء الساخن يغسل بعض المشاعر التي تتملكها، إلى متى تنتظر لكي تفهم؟ اخذت تسأل نفسها، لا فائدة من تمني ما لا يمكنك الحصول عليه، فهو لا يخرج عن ان يكون مضيعة للوقت، كما انه عندما تحصل عليه، لن يدوم على كل حال.

لم تتنكر انها في اندفاعها إلى الحمام، قد نسيت إدخال ثيابها معها، إلا بعد أن فرغت من تجفيف نفسها بالمنشفة الناعمة المصنوعة من القطن المصري، وهكذا لم تجد سوى ان تلف نفسها بالمنشفة، لم يكن لديها وقت تضيعه هنا، لديها اشياء عليها ان تقوم بها... افتتاح شركتها، فاليوم هو اليوم الكبير ولن تدع أي شيء يدمر ذلك... أو أي انسان، بما فيهم رايف.

* * *

خرجت من الحمام منتصبة القامة متجهة مباشرة إلى غرفة ثيابها دون أن تلقي نظرة على رايف الذي كان مايزال ممدداً في فراشه.

تمتم يقول: «اتعلمين؟ طالما تساءلت كيف تستطيع النساء ان تقمن بذلك، كيف تستطعن تثبيت المنشفة بكاملها تلك العقدة الصغيرة بأعلاها؟ لقد حاولت ان اجرب ذلك، لكن ما ان لففت المنشفة حولي وسرت خطوة واحدة حتى رأيتها قد تكومت عند قدمي.»

شغلها حديثه هذا لحظة من البحث عما تلبسه لهذا النهار،

www.liilas.com

ولكن للحظة واحدة عادت بعدها إلى البحث، وتناولت طقمها الأخضر، ثم عادت مسرعة إلى الحمام دون ان تتنازل بإجابة رايف على سؤاله المنمق ذاك.

ومن وراء باب الحمام الخشبي السميك، سمعته يسألها: «لماذا يتملكني شعور بأنك غاضبة مني؟»

أجابت: «ربما السبب هو انني فعلاً غاضبة منك.»

«هل لك ان تخبريني بالسبب؟»

«كلا.» وعندما فتحت الباب قال: «المفروض ان اقرأ ما بذهنك، أليس كذلك؟»

ألقت عليه نظرة عدائية وهي تقول: «اتمنى لك نهاراً طيباً، يا رايف، انني خارجة.»

«انتظري لحظة، إلى أين تذهبين؟»

«إلى العمل. فالافتتاح الكبير هذا النهار إذا كنت نسيت ذلك.»

«انني لم أنس.» وكان منذ ايام قد عرض عليها ان يرافقها إلى حفلة الافتتاح، ولكنها اجابته على الفور بأن ما سيتملكها من التوتر سيكون كافياً تماماً من دون وجوده. وهكذا رتب الأمر بحيث يرسل اليها بعض الزهور بدلاً من ذلك.

وإذ اخذ يتأملها، لم يملك إلا الاعتراف بمنظرها الرائع في طقمها الأخضر هذا، فقد كان القماش الحريري يلف جسمها بشكل بديع.

وإذ رأته جيني يغمض عينيه ويبتعد عنها بأفكاره، قالت له: «كلا، فأنت لا تنسى شيئاً، أليس كذلك؟ فأنت تبقى متشبثاً بالماضي لا تدعه يفلت من بين يديك.»

ألقى عليها نظرة غاضبة وهو يقول: «يمكنني ان اقول نفس الشيء عنك.»

«ماذا تعني بذلك؟»

«أعني بأنني لست الوحيد الذي يحمل آثار الجروح، يا جيني.»

«هذا صحيح، ولكنك الشخص الوحيد الذي يلفظ اسم شخص آخر اثناء وجودنا في السرير معاً.» قالت ذلك ثم غادرت الغرفة.

• • •

قالت ميريام متبرمة وهي ترى جيني تدخل المخزن: «لقد بكرت بالحضور، فانا لست مستعدة لك بعد، عودي إلى الخارج.»

«ما الذي تفعلينه على ذلك السلم؟»

ردت ميريام بحدة: «اقلّم اظافري، ما الذي ترينني اقوم به؟ انني لحاول ان اضع لافتة... راية في الحقيقة ولكنها لا تتجاوب معي، وكذلك انت، فقد كنت أريد ان اجعلها مفاجأة.»

«لا استطيع ان ادخل إلى مكتبي، يا ميريام.»

«هذا صحيح، فليس من المفروض ان تدخلي اليه قبل ان ينس شريط الاحتفال.»

«أي شريط احتفال؟»

«عندما نفتتح الشركة هنا.»

سالتها جيني: «من أين جاءت كل هذه الأزهار؟»

أجابت ميريام بفم مليء بالمسامير: «كفى اسئلة، قفي وقومي بشيء نافع.»

www.liilas.com

أجابت جيني مازحة: «نعم، يا سيدتي.»

قالت ميريام بحدة: «لقد افسدت عليّ المفاجأة، كان عليك ان تظهري الأسف لذلك.»

أحالت جيني ابتسامتها إلى مظهر أسف: «هل يعجبك هذا؟»

«كثيراً، هل لك بأن تناوليني القدوم؟»

قالت جيني: «دعيني اقوم أنا بهذا.»

لم تكن ميريام بحاجة إلى من يطلب منها ذلك مرتين. وعندما تبادلتا وضعهما، دقت جيني المسامير ولراية أخرى أيضاً، سألتها ميريام: «وكيف كان شهر العسل؟»

«رائع.» قالت جيني ذلك وهي تدق المسمار بمزيد من العنف.

«اتراك تشاجرت مع رايف؟»

«ما الذي جعلك تلقين هذا السؤال؟»

«لأن دقك للمسمار من العنف بحيث يكفي لإرساله إلى الصين.»

قالت جيني: «الرجال صعبون.»

«هل تعنين بذلك رجلاً بعينه، أم جنس الرجال عموماً؟»

تنهدت جيني: «لا تهتمي بما اقول، ودعي النهار يمر بسلام.»

قالت ميريام بثقة: «وهذا ما سيحصل، سيكون هناك احتفال كبير...»

قالت جيني ساخرة: «نعم، طالما ليس من الكبر إلى حد يتوجب علينا فيه دعوة الحاكم.»

«هل انت واثقة؟ ان لدي معارف مهمين وبإمكاني اجعل الحاكم يحضر الاحتفال.»

«اعلم هذا، ولكنني أريد هذا الاحتفال على نطاق ضيق، وليس كحفلة الزفاف.»

بدا الامتعاض على ميريام: «ألم يعجبك عرسك؟»

«لم اقصد هذا بالضبط.»

«ماذا بالضبط، إذن؟»

قالت جيني: «انني متوترة، في الواقع.»

«لماذا؟»

«خوفاً من الفشل.»

«ان هذا لن يحدث، فأنت لست سيئة الحظ.»

«هل هذا مدح أم ذم؟»

«دعيني أوضحه بشكل آخر... هنالك مثل شعبي قديم يقول: عندما يملأ سيء الحظ الساعة، فإنها تقف، وعندما تضيع المظلات، تشرق الشمس.»

«إذن فأنت تقولين: انني لست فاشلة.»

«يكفي كل هذا القلق، فأنا اعتبرك ناجحة وهذا هو المهم.» وابتسمت.

فاحتضنتها جيني قائلة: «ما الذي كنت فعلته لأستحق صديقة مثلك؟»

«لا بد انه شيء جيد تماماً.»

قالت جيني باسمة: «نعم، لا بد انه كان كذلك.»

وضعت ميريام قبعتها على رأسها تريها لجيني قائلة: «لقد اشتريت قبعة خاصة بهذه المناسبة. اترينها؟ انها برتقالية اللون وعلى جانبها شارة الشركة بعد ان طرزتها بيدي، أليست جميلة؟»

«انها رائعة، ماذا قال زوجك ماكس عنها؟»

www.liilas.com

«قال انها عمل فني، انه يتعلم اخيراً بعد ثلاثين عاماً من الزواج.»

قالت جيني ضاحكة: «ذلك لأنك معلمة جيدة، يا ميريام.»

«هذا احد اسباب كثيرة تجعلني احبك، لأن لديك ذوقاً رائعاً، من كان يظن، عندما تعارفنا في معرض الدببة ذاك منذ خمس سنوات، اننا سننتهي بهذا الشكل؟»

«اتذكرين تلك السيدة التي اخذت تبكي عندما عادت قبل نهاية المعرض لتجد ان سيدة أخرى قد سبقتها إلى شراء الدب الذي تريده؟»

فأومأت ميريام: «نعم، وكذلك ذلك الشاب الذي اشترى الدب برترام لأنه كما قال يشبه عمه...»

«وجامع الدببة ذاك الذي حمل الدب بنجامين في أنحاء المعرض يدور به وهو يرفع يد بنجامين وكأنه يلوح بيده للجموع.»

قالت ميريام: «وقد كسبت بذلك كثيراً من الزبائن.»

«لقد تلقيت رسالة من جامع الدببة ذاك منذ ايام فقط يخبرني بأن دبه في احسن حال.»

«كل دببتك في أحسن حال، انظري اليها.» وأشارت ميريام نحو منطقة العرض الواسعة التي أمضت اكثر الأيام الماضية في تصميمها و.. ليس فقط لأجل حفلة الافتتاح اليوم، ولكن أيضاً لأجل تلك المناسبات التي يتوقف البائعون بجانبها.

كان الدب بنجامين والدبة بونيتا جالسين معاً على مقعد خشبي مستطيل، بقرب دب طفل لطيف يرتدي قبعة وحذاء رعيان البقر ويمتطي صهوة حصان خشبي هزاز، والدب

برترام الماكر يجلس وامامه كومة من الكتل الخشبية، وحول عنقه ربطة زرقاء براقة، بينما الدب الجد يجلس بارتياح في مقعده الهزاز ونظاراته على عينيه وصحيفته على ركبتيه.

كانت مجموعات متفرقة تمثل إبداعات جيني، والكثير منها ترتدي ملابس، فكان هناك الدب التلميذ الذي يرتدي كنزة ويحمل حقيبة مدرسية، وتلك تيودورا المصنوعة من الموهير الأبيض المنقوش، والتي كانت ترتدي ملابس من طراز العهد الفيكتوري بالبنطلون المصنوع من الدانتيلا والقبعة التي تغطيها الأزهار، والدب بيرني ببذلة البحار وامامه مركب خشبي.

كانت مجموعة جيني الخاصة من دببة فنانين آخرين التي كانت اشترتها على مر السنين، موضوعة في غرفة خاصة للعرض في بيتها، ما اغرب انها مازالت لا تستطيع اعتبار منزل رايف بيتها.

نظرت جيني في أنحاء المعرض الجديد، لتطمئن إلى ان كل شيء على مايرام، وعلى احدى المناضد، كانت هناك نماذج من الأقمشة الجديدة... فهناك الموهير مختلف الألوان وكذلك أقمشة صناعية، وكانت انواع الأقمشة التي اختارتها جيني لكل من تصميماتها قد أسبغت عليها منظراً مختلفاً وبالتالي صفات مغايرة، لقد كانت تقلب الأقمشة وهي تتساءل أي نوع من الدببة يصنعها كل منها.

قالت لها ميريام مازحة: «كفى اهتماماً، فقد اقترب موعد الافتتاح، فالناس تنتظر في الخارج، هذا عدا موظفيك

www.liilas.com

وماكس زوجي حاملين آلة تصوير الفيديو، لقد نجحت يا جيني، وحققت حلمك.» ثم احتضنتها بقوة.

• • •

لم تعد جيني إلى منزل رايف قبل الثامنة مساء، لقد كان النهار حافلاً، ولكن العمل كان كثيراً، وقد حضرت الصحافة المحلية الافتتاح، واخذت صوراً عدة لجيني ودببها، وقد تملكها الرضا وهي تدرك نجاح هذا اليوم، وكيف ان الخيال قد تحول إلى عدد من الدببة وذلك بمساعدة عمالها الجدد... إمرأة كانت تقوم بالتفصيل والحشو، واثنتان تخيطان بالإبرة وثالثة كانت تعمل على آلة الخياطة.

وقد بقيت جيني تقوم بالأعمال النهائية على الدببة بنفسها، مستخدمة آلة الحلاقة الكهربائية لحلاقة فم الدب وكذلك الأنف، وذلك بمقص حاد، وكانت غالباً ما تمضي اكثر من ساعتين تعمل في وجه كل دب وذلك لكي تضفي التعبير المراد.

لقد وخزت اصبعها مرة أخرى وهي تطرز أنف وفم أحد دببها.

وإذ كانت تنظر إلى الوخزة هذه في اصبعها، تذكرت آخر مرة وخزت فيها اصبعها بإبرة، لقد كانت ذهبت إلى جبل واشنطن في تلك النزهة مع رايف وسيندي في اليوم التالي كان عليها ان تدرك حينذاك انه سيصبح قوة فاعلة في حياتها، ولكنها كانت تعتقد بحماقة انها تسيطر على كل شيء.

عندما عادت إلى البيت، كان رايف قد أعد لها عشاءً فا

انتظارها، ألقى نظرة عليها، ثم اجلسها على كرسي إلى مائدة في غرفة طعامه الخاصة ثم وضع امامها طبق طعام ذا رائحة شهية.

«ما هذا؟»

رد عليها بحدة: «ماذا تظنين.»

فأجفلت قائلة: «انه أرنب.» وهزت رأسها: «لا استطيع.»

«لقد تملكني احساس بانك ستشعرين نحوه بهذا الشكل، فالأرنب هو الطبق الخاص في المطعم هذه الليلة، ولكن هذا لحم عجل.»

فقالت له: «إذا كان يخالطه لحم أرنب، فسأخنقك في فراشك.» وسمعته يتمتم شيئاً عن كونها سبب موته على كل حال، بينما كان يبتعد ليعالج أزمة في المطبخ.

كان العشاء لذيذاً خصوصاً والحلوى كانت كريم كارامل التي جعلتها تمسح الطبق، وعندما عاد رايف، قال لها: «ان سيندي تنتظرك لتضعيها في فراشها.»

صعدا إلى الطابق العلوي معاً حيث وجدا الجد محاولاً جهده جذب اهتمام سيندي بحكاية موبي ديك.»

قالت سيندي لرايف وجيني: «اقرآ لي حكاية «الجمال النائم».

وعندما اخذت جيني تقرأ النهاية، سبقها رايف إلى القول متمتماً: «(وهكذا عاشا طوال الحياة بعد ذلك بسعادة وهناء).»

صفقت سيندي بيديها بحماسة قبل ان تقفز من سريرها وتعانقهما معاً وهي تهتف: «أحب النهايات السعيدة اكثر من أي شيء آخر.»

www.liilas.com

وكذلك كانت جيني، ولكن المشكلة هي انها لم تعد تثق بذلك منذ كانت في عمر سيندي.»

• • •

عندما انضم رايف إلى جيني في غرفة نومهما تلك الليلة أعلن قائلاً: «خبر عظيم، فقد تلقيت لتوي اتصالاً هاتفياً من محامي حماتي.»

فقالت: «ان الوقت متأخر بالنسبة إلى اتصال محام، أليس كذلك؟»

أجاب بحدة: «ليس إذا كانوا يتلقون الأجر الذي تدفعه لهم. أشيا، على كل حال، فقد قال المحامي ان بالنسبة للظروف الحاضرة، والتي تتمثل في زواجنا الحديث وحسن سمعتك، فقد نصح موكلته بأن تسقط دعوى الوصاية لنفسها وتكتفي بطلب ضمان حق الزيارات.»

«ولكن لديها مثل هذه الحقوق، أليس كذلك؟ لا اظنك سبق ومنعتها من زيارة سيندي في السابق.»

فقال: «كلا، لم افعل ذلك، ولهذا وافقت، فأنا لم أشأ قط ان امنعها من رؤية سيندي، فأنا فقط لم أشأ ان تأخذ مني ابنتي.»

«وهي الآن لم تعد تستطيع ذلك، أصحيح؟»

«صحيح.»

«هذا خبر عظيم.» قالت جيني ذلك باسمة، فهذا على الأقل، ما نتج عن زواجهما ذاك، كانت الأمور في الواقع تسير في الطريق الذي رسماه... فقد احتفظ رايف بابنته، بينما احتفظت هي بشركتها، وما عليها الآن سوى ان تنظم مشاعرها بنفس الشكل.

سألها وهو يجلس على حافة سريره يخلع حذاءه: «ما هذا الشيء الصلب في وسط الفراش؟»

أجابت: «انها تقاليد قديمة، فهذه بطانية ملفوفة تشكل حاجزاً بين الاثنين اللذين يشتركان في سرير واحد، وذلك للتأكد من ان كلا منهما يلتزم ناحيته فلا يتعداها.»

«وهل بطانية ملفوفة ستفعل ذلك؟»

«نعم، وهذه ليست بطانية رقيقة وانما فراش ريش، لقد اعتادوا في الزمن القديم ان يضعوا قطعة من الخشب تمتد من رأس السرير إلى اسفله، ولكنني فكرت في ان بإمكاننا ان نضع هذه حالياً.»

تذكر رايف كم أراد الليلة الماضية ان يتأنى في الأمر، ولكن جسمه وعقله حدثاه بشيء مخالف، وبالنسبة إلى قلبه... تملكته الحيرة ما سبب له الضيق، وكذلك ذلك الحاجز الملفوف في السرير.

«جميل جداً إذا كان هذا يجعلك مطمئنة، ولكننا لن نرقد بهذه الطريقة إلى وقت غير محدود، ذلك ان وقتاً سيجيء يكون فيه علينا ان نشترك في هذا السرير بصفة زوج وزوجة.»

ولكن جيني كانت قد سبق وقررت انها لن تفعل ذلك قبل ان تتأكد من انها هي التي ينام معها في هذا السرير وليس نكرى سوزان.

• • •

بعد ذلك بأيام، كانت جيني تحدث محاميتها في الهاتف قائلة: «كل شيء هادىء هنا بالنسبة للدببة، وانا شاكرة لك تعجيلك بالأمور كما فعلت.»

www.liilas.com

قالت ميراندا: «انها وظيفتي، وما كان لك ان ترسلي إليّ ذلك الدب البديع، ولكنني مسرورة به للغاية، ان توماس اسكواير وهذا اسمه أليس كذلك؟ انه فائق الجمال.»

قالت جيني: «انه أول دب بشكل محام أصنعه، هل اعجبتك الأشياء القانونية التي يحملها؟»

قالت ميراندا ضاحكة: «كثيراً، فالكتب القانونية وحقيبة الأوراق كانت رائعة، في الواقع اريد ان اطلب ارسال المزيد لأجل بعض الأصدقاء.»

«سأرسل اليك ما تريدين، ولكن هذا يتطلب بعض الوقت إذ ان الأمور معنا لم تستقر بعد.»

«لا باس، اتظنين ان بإمكاني الحصول عليها قبل العيد؟»

«هذا ممكن.»

قالت ميراندا: «لا بد انك مشغولة جداً الآن.»

«الخريف هو اكثر الفصول ازدحاماً بالعمل بالنسبة إليّ حيث ان الإجازات تبدأ منه، وان تكن بقية الفصول مزدحمة أيضاً، لحسن الحظ.»

«وهذا هو السبب في ان شركة العاب ميغا تريد وضع اليد على دببتك.»

«أرجو ان يكون رئيسها بيتر فانبورن قد فهم الآن انني لا أريد ولا يمكنه إخافتي، لم تحصل حوادث عندي منذ وضعت جهاز الأمان.»

«وماذا بالنسبة إلى المقاول الذي لم يكمل العمل؟ هل اسمه غاردنر؟ اتريدينني ان اقوم نحوه ببعض الإجراءات القانونية لأجل نلك؟»

«انني لم أدفع له المبلغ الباقي، وقد أوقفت دفع الشيك

الذي كنت اعطيته إياه وذلك قبل يومين من تسرب الماء من السقف.»

«إذا سبب لك أية مشكلة بالنسبة لهذا الأمر، فاحيلية عليّ.»

قالت جيني: «سأفعل، شكراً يا ميراندا.»

بعد ان وضعت جيني السماعة، اخذت تفكر فترة في وضع تصميمات محتملة لدببة تمثل محامين... وبعد ذلك دببة تمثل أطباء ومدراء بنوك، واخذ قلمها يسرع فوق الورق فتتكاثر اكوام التصميمات والأفكار الجديدة، وإذ استغرقتها دوامة الالهام، غفلت عن ملاحظة مرور الوقت.

وإذا بها تسمع حركة... لعلها الأغصان تضرب جانب مخزن الغلال، ويبدو ان الريح على وشك الهبوب، وإذ نظرت إلى ساعتها وجدت انها تجاوزت العاشرة ليلاً.

سمعت الصوت مرة أخرى، وهذه المرة نهضت جيني وسارت إلى نافذة غرفة مكتبها تنظر منها، كان القمر كاملاً هذه الليلة ما ساعدها على ان ترى شكلاً غامضاً غير واضح المعالم لرجل... أتراه رايف؟ ولكن، كلا، فهذا الرجل اقصر كثيراً من رايف، كما ان حركاته كانت حذرة للغاية، وأسرعت إلى مكتبها ثم ضربت جهاز الإنذار الذي سينبه مخفر الشرطة.

ماذا لو ان الرجل ذهب قبل مجيء الشرطة؟ ربما اذا عادت تنظر من نافذتها مرة أخرى، سيكون بامكانها ان تراه بمزيد من الوضوح، وكانت تدور بحذر حول مكتبها متجهة نحو النافذة عندما سمعت صوتاً يهتف باسمها بغضب، وبعد ذلك بلحظة ظهر رايف. فسألته: «هل رأيته؟»

www.liilas.com

«رأيت من؟»

«هذا عظيم، انظر ماذا فعلت، فقد جعلته يهرب بندائك هذا.»

أمسك بذراعها يسألها: «ما الذي تفعلينه هنا وحدك في هذه الساعة من الليل؟ لقد كان الباب مفتوحاً، كيف استطيع ان احميك اذا كنت تقومين بأعمال كهذه؟»

«شرطة منطقة نورث دنواي، لا تتحركا.»

الفصل الثامن

أمر الشرطي رايف بقوله: «هيا، قف رافعاً يديك فوق رأسك إياك أن تتحرك.»

نظر رايف إلى جيني وهو يتمتم شاتماً نظر في عينيها يحملها مسؤولية مأزقه هذا. ولم يكن أمامه خيار سوى أن يمتثل لأوامر الشرطي، بينما ملامحه تنذرها بالعقاب فيما بعد.

وتمتم ساخطاً: «لماذا لم تخبريني بأنك ضغطت على جرس الانذار؟»

صرخ الشرطي به: «قف الآن.»

«اسمع أنا زوجها.» قال رايف ذلك وهو يمتثل لأمر الشرطي ولكن الشرطي لم يقل سوى: «أجعل يديك بحيث أستطيع رؤيتهما.»

«تباً لذلك، فأنا لست سبب استدعائها لكم.»

قالت جيني: «اهدأ يا رايف.» ثم قالت تخاطب الشرطي: «إنني جيني بنجامين.»

قال رايف: «بل جيني ميرفي.»

«هذا صحيح جيني بنجامين ميرفي المهم هو أنني أنا التي ضغطت جرس الانذار فقد رأيت رجلاً في الخارج... رجلاً متطفلاً لم أره بوضوح، وإنما شكل رجل مبهم وقد جاء زوجي فهرب ذلك المتطفل قبل أن أراه جيداً.»

قال رايف وهو يحملق ناحيتها: «أنا طبعاً من يستحق اللوم.»

www.liilas.com

فسأله الشرطي: «هل لديك ما يثبت هويتك، يا سيدي؟»

فأومأ رايف: «إنني صاحب مطعم ميرفي الذي في الجوار.»

أجاب الشرطي: «إنني لا اتناول الطعام في المطاعم كثيراً وأريد أن ارى اوراقك أنت أيضاً يا سيدتي.»

عرض رايف اوراقه على الشرطي والتي كانت عبارة عن رخصة قيادة السيارة بينما قالت جيني: «ليس لدي ما يثبت شخصيتي حالياً. فقد تركت حقيبة يدي في البيت، فأنا اسكن في البيت الذي يلي هذا مباشرة.»

قال رايف: «إنني لكفلها.»

لم تعجبها لهجة الاستعلاء في صوته وبدا ذلك في تحديقها فيه.

أعاد الشرطي مسدسه الى جيبه ورخصة القيادة الى رايف وهو يومىء الى زميله الذي كان يقف بعيداً صامتاً طوال الوقت، وهو يقول: «لا بأس إن برت سيفتش المكان في الخارج ويرى إن كان هناك أحد غريب.» ثم ابتعد الشرطي ليتحدث في جهازه اللاسلكي.

اثناء انشغال رجلي الشرطة، اغتنم رايف الفرصة ليتحدث الى جيني على انفراد: «لا استطيع أن اصدق انك فعلت هذا. لماذا لم تخبريني بأنك ضغطت جرس الانذار تستدعين الشرطة؟» وكانت عيناه وهو يتمتم بذلك، تنفثان لهبا.

ردت عليه بحدة: «لم تعطني فرصة اخبرك بها. بل كنت مشغولاً بتعنيفي لحضوري إلى هنا للعمل.»

«كان هذا عملاً غبياً منك.»

«لا يمكنني أن اسمي العمل في بيتي والذي يحتوي على جهاز انذار، لا يمكن ان اسميه غباء.»

«ولماذا لم تخبريهما على الفور من أكون بالنسبة إليك؟» وقبل أن تجيب سارع يجيب على سؤاله بنفسه قائلاً: «لقد فعلت ذلك متعمدة، أليس كذلك؟»

أجابته بعذوبة متهكمة: «كلامك صحيح تماماً، يا رايف فهل أنت مسرور؟» ورأت أنه لم يعجبه تهكمها حسناً، فكلامه لم يعجبها، هي أيضاً.

كانا يحملق الواحد منهما في الآخر غاضباً إلى أن قطعا بعودة الشرطي المدعو برت.

قال برت لزميله: «لم أر شيئاً في الخارج يوجد آثار اقدام غير واضحة.»

قالت جيني بإصرار: «أنا واثقة من أن شخصاً كان هناك لقد رأيته بنفسي.»

سألها الشرطي الأول وهو يفتح دفتر ملاحظاته ويخرج قلمه: «كيف شكله؟»

«لم استطع أن أرى وجهه. ولكنه كان أقصر من رايف وكان يسير بحذر بالغ وبدا لي وكأنه كان مرتدياً السواد. لم يكن يبدو بديناً... وكان متوسط البنية.»

سألها الشرطي: «ما الذي جعلك تظنين أنه رجل؟»

أجابت: «الطريقة التي كان يسير بها.»

«هل لديك فكرة عن العمر؟»

فهزت جيني رأسها نفياً: «لم استطع رؤية شعره، فهو كان يغطيه بما يشبه القلنسوة حاولت أن اعاود النظر إليه جيداً، ولكن زوجي اندفع إلى الداخل فأخاف المتطفل ما جعله يهرب.» والقت على رايف نظرة ذات معنى.

سأل الشرطي رايف: «هل رأيت أنت شيئاً؟»

«كلا.»

فعاد الشرطي يسأله: «هل تمانع إذا سألتك عن السبب في اندفاعك في الدخول إلى هنا؟»

أجاب: «كنت قلقاً على زوجتي.»

«آه، ولماذا هذا القلق؟»

«لأن الوقت تأخر دون أن تعود إلى البيت.»

ردت جيني بحدة: «ليس من الصعب استعمال الهاتف.»

أخذ رايف يحملق فيها لا يريد أن يعترف بانه كان من القل... عليها لتأخرها إلى الساعة العاشرة ليلاً بحيث أن استعما... الهاتف لم يخطر بباله. هذا بينما كان الضابط يسأله: «ه... هنالك سبب جعلك تقلق بهذا الشكل على زوجتك؟»

أجاب رايف: «لقد كانت تعرضت لبعض المشاكل هنا...»

قال الضابط يخاطب جيني: «إذن فهي ليست المر... الأولى التي تتعرضين فيها إلى مشاكل كهذه؟»

فأجابت: «كلا، فقد كانت هناك عدة حوادث، رغم أن هذ... هي المرة الأولى التي أرى فيها شخصاً.»

فسألها: «أي نوع من الحوادث؟»

«في البداية كانت عبارة عن اشياء صغيرة، أما اخطرها فهو... فجوة في السطح. وقد اخبرني المقاول السيد فادن والذي كل... كلفته باصلاحه، اخبرني بانه يظن تلك الفجوة قد احدثت عم... وكنت تعاقدت قبله مع المقاول السيد غاردنر فلم يعجبني عم... ولكن الشك لم يتملكني إلا بعد تلك الحادثة في المصرف. عن... تلك ادركت أن شركة العاب ميغا كانت وراء ذلك كله.»

قال ضابط الشرطة مستفهماً: «العاب ميغا؟»

فاومأت تجيب: «نعم، ترى أنني اصفع دبية وعشرين...»

رفضت بيعهم تصاميمها تملكهم الغضب. وهكذا أخذوا يفتعلون تلك الحوادث لكي يمنعوا نجاح شركتي.» وإذ رأت الضابط ينظر إليها متشككاً، عادت تقول: «اسمع أيها الضابط. يمكنني أن اؤكد لك أن هذا الأمر جاد.»

فأجاب: «حسناً، يا سيدتي. هل لديك ما يثبت أن شركة العاب ميغا وراء هذه المشاكل؟ هل ثمة شهود رأوا من صنع تلك الفجوة في سطح بيتك؟»

فردت بضيق: «كلا، كذلك لم ير أحد ذلك الذي تسلل إلى بيتي وسرق تصميماتي.»

فسألها الضابط: «هل تقولين إن هناك من اقتحم منزلك؟ هل قدمت لنا تقريراً بذلك حينذاك؟»

قالت: «كلا.»

فقال رايف: «لقد كان باب المخزن مفتوحاً عندما جئت.»

فقالت جيني تصحح له كلامه بشكل آلي: «بل استوديو. لقد اصبح الآن استوديو ولم يعد مخزناً. ثم أنا واثقة من أنني اقفلت بابه عندما ذهبت ميريام حوالي السادسة.»

وجاءهم صوت برت ينادي من مدخل الاستوديو المظلم: «ظننتي وجدت شيئاً.»

كان الرجل في الناحية النائية من المبنى، وهي الابعد عن مكتب جيني، وهي منطقة لا تستطيع رؤيتها على الاطلاق من حيث كان عملها. وكانت منطقة الشحن حيث كانت الدببة الجديدة تنتظر شحنها إلى اصحابها الجدد.

كان رايف أول من وصل إلى المكان، فوضع ذراعه حولها وكأنه يحميها من مشاهدة المنظر وهو يقول: «كلا يا جيني... لا...»

www.liilas.com

لكن كان عليها أن تنظر. كان هناك خمسة من الدببة في انتظار شحنها... ثلاثة منها ممزقة إرباً وكأنها قطعت بآلة حادة.

فاضت عينا جيني بالدمع. كيف أمكن لشخص ما بأن يفعل هذا بلعبة كهذه، والتي تمثل رمز الصداقة والمحبة في العالم. وارتجفت.

عندما تلاشت الصدمة، حل الغضب في نفسها مكان الألم. كان إتلاف سقف المخزن واقتحام منزلها شيئاً، وايقاع الأذى بدببتها شيئاً آخر. لقد تجاوز المجرمون الحد هذه المرة.

شعر رايف بها ترتجف بعنف. فحاول طمأنتها وتهدئتها. ولكنه هو نفسه كان يغلي بالمشاعر المختلفة فقد رأى الآن أن هذه الحادثة لا علاقة لها بالتخريب وعليهم أن يواجهوا الآن حالة شاذة... حالة شاذة تنحصر في هذا المنزل وجيني نفسها... فإتلاف الدببة كان متعمداً. والذهول الذي كان يكسو ملامح جيني أدمى فؤاده ولكن كان من الممكن ان تلاقي نفس نهاية دببتها، وهذا الخاطر ملأ نفسه هلعاً.

مرت الساعة التالية بشكل ضبابي بالنسبة إلى جيني. مزيد من رجال الشرطة يجيئون ويذهبون... بصمات تؤخذ... مكثت جيني في مكتبها إلى أن ذهبوا جميعاً. فكانت تجيب على اسئلتهم وتملأ اوراقاً رسمية وتنوح على دببتها التي فقدتها.

كما أنهم احضروا عاملاً غير الاقفال والرموز في جهاز الانذار. وبينما أخذ رايف يراقب عمل العامل، أخذ يفكر متأملاً في احداث هذه الليلة. شيء واحد كان يراه في منتهى الوضوح، وهو أن جيني قد دخلت نفسه ومشاعره مهما

بأن تستقر في قلبه. واهتز وهو يكتشف ما اصبحت عليه من اهمية في حياته في مثل هذا الوقت القصير من الزمن.

عندما غادر عامل الحدادة البيت نهائياً، قال رايف لها: «ليس ثمة شيء آخر يمكنك القيام به هذه الليلة.» كان واضعاً يديه الاثنتين على مكتبها فمال إلى الامام يحدق فيها طويلاً بنظرة كئيبة ثم قال: «إياك أن تقومي بمثل هذا العمل مرة أخرى وإلا كيف استطيع حمايتك عندما تتنقلين خارج البيت وحدك؟»

«لم أكن اتنقل، وإنما كنت هنا أزاول عملي.»

«وحدك، وإلى هذه الساعة المتأخرة.»

«في مبنى المفروض فيه أن يكون مزوداً بجهاز إنذار، كما أن الصدفة جعلته بجانب مطعمك.»

«ما معنى هذا الكلام؟ هل تتهمينني بالاشتراك في هذا الأمر؟»

«كلا ليس عليك أن تحاول قتلي في كل مرة أقول فيها شيئاً. كل ما كنت اعنيه هو أنني لم أكن أهيم في برية. ولو انك لم تندفع إلى المكتب صارخاً بي هذه الليلة، لعرفنا من هو الذي وراء هذه كله.»

رد عليها قائلاً: «وربما كنت ستنتهين كما انتهت دببتك تماماً. ألم تفكري في ذلك قط؟»

قالت بهدوء: «إنني لن ادع اولئك الناس يخيفونني لكي اخضع. لن ادعهم ينتصرون.»

«إنها ليست مسألة انتصار أو عدمه، وإنما هي مسألة سلامتك.»

«وهذا هو السبب الذي جعلني أضع جهاز الانذار ذاك،

www.liilas.com

رغم أنه لم يف بالغرض منه. يا لدبيتي المسكينة.» وعضت شفتها لا تريد أن تبكي أمامه.

فقال: «تعلمين أنه سبق ورأيتك تبكين من قبل.»

لكن جيني لم يعجبها أن يذكرها بذلك، فقالت غاضبة: «أريد أن أعلم كيف دخل إلى هنا.»

«ربما نسيت أن تقفلي الباب بعد ذهاب ميريام.»

«كلا، لم أنس.»

فقال حانقاً: «جيني، لقد نسيت مرور الوقت. وقد كنت قلت بنفسك أنك عندما تستغرقين في العمل لا تعودين تنتبهين إلى شيء.»

اجابت بإصرار: «ولكنني لم أنس إقفال الباب.»

«ما الذي يجعلك تتأكدين من ذلك؟»

لم تستطع التأكد بالفعل وساءها منه أن جعلها تشك في نفسها بهذا الشكل. فهي التي كان لديها ما تغضب منه وليس رايف. ولكن ليس بإمكانها أن تجلس دون القيام بأي عمل كما أنها لا تستطيع الذهاب إلى بيته مدعية بأن لا شيء قد حدث. إن عليها أن تتصرف وإلا تجن. فقالت: «إنني سأنقل بقية الدبية إلى هذا البيت ثم أبقى فيه أحرسها.»

«كلا، لن تفعلي هذا. فقد قال رجال الشرطة انهم سيرسلون سيارة شرطة إلى هذه المنطقة للمراقبة أثناء الليل.»

«لن يكون بإمكانهم أن يمنعوا ذلك الرجل إذا هو عاد.»

«وكذلك أنت لن يمكنك ذلك.»

«إنني لن أترك دبيتي دون حراسة.»

«إنها ليست دون حراسة فلديك جهاز انذار.»

«إنه لم يشتغل من قبل.»

«لا تكوني سخيفة. لن اسمح لك أبداً بالمغامرة بحياتك لأجل عدد من الدبية الغبية.»

حينئذ فقدت جيني السيطرة على نفسها، فصاحت به بحدة: «ليس لك أن تخبرني ما هو المهم في حياتي.»

«وماذا عن حياتك نفسها، وماذا تساوي هذه الدبية إذا أنت قتلت؟»

تجاهلته وأخذت تجمع من الدبية ما تستطيعه ثم تضعه في صندوق كبير كانت تحتفظ به لمثل هذا الغرض. وكانت الدبية ما تزال على مناضد العرض منذ حفلة الافتتاح.

وإذ اقترب من أحد تلك الدبية، فتح فاه ذاهلاً وهو يرى الثمن المعلق عليه. فقالت جيني: «إنها غالية الثمن فاليارد الواحد من القماش المصنوعة منه يكلف ما بين عشرين إلى ثمانين دولاراً. وقماش الموهير يتراوح سعر اليارد منه مابين ثلاثين إلى مئة وثلاثين دولاراً.»

«وهل يدفع الناس هذه الأسعار فيها؟»

ردت عليه بضيق: «ألا تراني هنا اقوم بعملي بنجاح تام ولا ما حدث من تخريب؟ هذا إلى أنني لم أقل لك انك تطلب ثمناً غالياً للطعام في مطعمك، أليس كذلك؟»

«كلا.»

«إذن لا تقل لي انني أطلب ثمناً. عالياً للدبية. عليك أن تكون هاوياً لجمع الدبية لكي تتفهم ذلك.»

«يمكنني أن اتفهم عندما أرى شيئاً أرغب فيه بالرغم مما قد يكلفني.» وفاضت عيناه بالكآبة والمشاعر وأشياء جعلت اللهفة تتملك جيني لحل رموزها ولكنها لم تستطع.

www.liilas.com

حوّلت نظراتها عنه بجهد ثم تابعت حزم الدببة بينما أخذ رايف ينظر إليها ما ادخل الارتباك إلى نفسها. وأخيراً قالت تسأله: «هل ستساعدني أم لا؟»

تناول منها الصندوق الضخم الذي كان امتلأ، فقالت تحذره: «إن هذا بحاجة إلى شخصين لحمله.»

رد عليها بحدة، متجاهلاً رغبتها في مساعدته: «هذا للشخص الواهن القوي.»

فردت عليه متهكمة وهي تقفل الباب: «حسناً، لا أريد أن احرمك من فرصة التباهي بإظهار قوتك.» ثم اسرعت لتفتح باب بيتها، وعندما القى رايف بالصندوق في غرفة الطعام، دافعاً إياه تحت المائدة حسب اشارتها، ودعته إلى الباب قائلة: «سأراك في الصباح.»

«حسناً، فأنا سأبقى معك.»

فأجفلت قائلة: «لا حاجة بك إلى البقاء هنا.»

«وكذلك أنت لا حاجة بك إلى البقاء هنا، ولن تبقي.»

لم يخطر في بال جيني ما في موقفهما من سخرية وهما يقفان على درجات بابها الخلفي يتجادلان تماماً كما حدث في تلك الليلة التي شهدت أول لقاء لهما في نفس المكان.

لقد تغير الكثير منذ تلك الليلة. مشاعرها نحو رايف وكيف انهما اصبحا الآن زوجاً وزوجة حتى تلك الدرجات الخربة قد اصلحها السيد فادن والآن كان على جيني أن تعزز دفاعاتها.

فقالت: «إنني باقية هنا هذه الليلة، يا رايف.»

«مستحيل.»

كرهت جيني تلقي أوامرها منه، فسألته: «ماذا قلت؟»

«قلت مستحيل. وليس هذا فقط، سأريك ايضاً ما أعني.» ودون كلمة أخرى، اخذ المفتاح من يدها، وبعنف رجل غاضب حملها فوق كتفه، متجاهلاً صياحها الساخط، ثم أقفل الباب واستدار ينزل الدرجات.

فصرخت به وقد تدلّى رأسها إلى أسفل: «إنك مجنون.»

تجاهلها واستمر في سيره وكان من الاسراع بحيث تمسكت بحزام بنطلونه. وإذ لم تشأ أن توقظ سيندي، خفضت صراخها وهو يحملها إلى المدخل الخلفي، ماراً بسبود الذاهل والذي كان قد انهى لتوه تنظيف المطعم، ثم بدأ يصعد السلم المؤدي إلى جناحهما الخاص.

كان رايف قد وصل إلى قمة أول سلم، ويستعد لصعود السلم الثاني والذي يؤدي إلى غرفة نومهما القائمة في الطابق الثالث عندما مرّ بجانب باب غرفة الجلوس، وإذا بجيني تتمسك بقبضة الباب بيديها الاثنتين ما جعله يتوقف في طريقه وهذا ما أرسل إلى نفسها شيئاً من الرضى.

من آخر الممر جاءها صوت سيندي: «ماذا تفعلان؟ هل حدث شيء؟» وإذ رأت جيني نظرة القلق البالغ في عيني الفتاة الصغيرة، كفت عن المقاومة وذلك دون أن تفلت من يديها قبضة الباب، ثم وضعت على وجهها ابتسامة تطمئن بها الصغيرة وهي تقول: «لم يحدث شيء. إن والدك يلعب معي فقط، فهو يمثل دور رجل الكهوف الذي لا عقل له.»

فقال رايف: «وهي تمثل دور الأنثى الهاربة.»

سألتهما: «أيمكنني اللعب معكما أنا أيضاً؟»

قالت جيني: «بكل تأكيد. فقد كان والدك على وشك وضعي على الأرض، أليس كذلك، يا رايف؟»

www.liilas.com

وإذ كانت ابنته موجودة، لم يعد بوسعه سوى الطاعة. فانزلها عن كتفه وهو يتمتم غاضباً. مالت جيني إلى الباب تستند إليه لتتمالك نفسها بينما التفت هو إلى ابنته مقطباً حاجبيه: «ما الذي تفعلينه هنا، يا صغيرة؟ لقد فات وقت نومك بكثير.»

«لم استطع أن أنام.»

فسألها بقلق: «هل رأيت حلماً مزعجاً؟»

«كلا، لم استطع أن انام لأنني نسيت أن اسأل جيني شيئاً فانتظرت في الطابق العلوي، ولكنكما لم تأتيا لأجل العشاء.»

قالت جيني بلطف: «إنني آسفة لهذا. فقد شغلتني الدببة ولم تسمح لي بالخروج.» تعمدت مثل هذا القول إذ كانت تعلم أن سيندي تتحدث عن الدببة وكأنها حقيقية. ثم عادت تسألها: «ماذا كنت تريدين أن تسأليني؟»

قالت سيندي: «هل يمكنك أن تأتي معي إلى المدرسة؟ إن المعلمة تقول إن بإمكاننا أن نحضر إلى المدرسة أي شيء نريده لكي نتفاخر به، وأنا أريد أن أفتخر بالماما الجديدة.»

شعرت جيني بغصة في حلقها واختلست نظرة إلى رايف لترى ردة فعله إزاء كلمات سيندي ولكن القناع الجامد قد عاد يكسو ملامحه، ذلك القناع الذي لا يسمح لها بأن تقرأ على وجهه ما يشعر به.

عادت سيندي تسأل جيني: «هل ستأتين غداً؟ ثم احضري معك بعض الدببة إن هذا سيكون رائعاً.»

«غداً؟ ليس هذا بالوقت الكافي لكي استعد للقدوم معك.»

«كنت أريد أن اسألك قبل الآن، ولكنني نسيت ولم تذكرني

اليوم. لا بأس في ذلك؟ إنك ستبقين ما افتخر به في المدرسة حتى ولو نسيت، أليس كذلك؟»

قالت جيني باسمة: «ولكنني لم أحاول أن أكون كذلك من قبل.»

فقالت سيندي تطمئنها: «ليس لك أن تخجلي. هل ستأتين؟»

«سأحضر بكل تأكيد.»

قال رايف: «هيا إذن، يا صغيرة فقد حان وقت نومك.» أثناء انشغال رايف بارقاد سيندي، فكرت جيني في الهرب والعودة إلى بيتها، لولا أنها خافت أن يلحق بها رايف ويظل يدق بابها إلى أن يوقظ الجيران بأجمعهم وهكذا استمرت على كره منها في صعود السلم ثم استعدت للنوم معدة نفسها لجدل عنيف مع رايف لأنها لم تكن تريد أن تتغاضى عن الطريقة التي عاملها بها، ولكن المشكلة الوحيدة هي أن رايف لم يصعد إلى الغرفة، ولم تلبث أن استغرقت في النوم أثناء انتظارها له.

hind a70

الفصل التاسع

استيقظت جيني على صوت محرك يهدر في اذنيها، وشعور غير مريح بأن ثمة من يراقبها، هل هو رايف؟

فتحت عينيها وإذا بها ترى عينين لهرة وقفت تحدق إليها، فسألتها جيني بصوت ناعس: «بوتز، ماذا تفعلين هنا؟»

ثم تذكرت كل شيء، كانت قد استيقظت في الثالثة نتيجة كابوس مخيف كان يدور حول تلف كبير قد لحق بدبيتها، ورايف يهرب منها، وكانت من الارتجاف بحيث لم تستطع العودة إلى النوم، وهكذا تسللت إلى الطابق الأسفل لتحضر علبة من الكاكاو كانت قد اخفتها في خزانة رايف الصغيرة في المطبخ، ثم تناولت ملعقة وقفلت عائدة إلى الطابق العلوي حيث لمست قدمها بالقطة، والتي كانت تحوم حول كاحليها، فكادت تقع عليها.

نظرت اليها القطة وكأنها تلتمس منها ان تدللها، ولم تخيب جيني ظنها فحملتها معها إلى الطابق العلوي، وإذ جلست القطة على السرير، كانت جيني قد انهت نصف علبة الكاكاو في جلسة واحدة.

لم تر جيني أثراً لرايف اثناء مغامرة نصف الليل هذه، فهو لم يأت إلى السرير الليلة الماضية على الاطلاق، ولكنها نكرت نفسها بأن هناك غرفة الضيوف في الطابق الأسفل تلك الغرفة التي كان ينام فيها مع سوزان.

تمتمت تخاطب القطة وهي تدغدغها تحت ذقنها مكافأة لها: «شكراً لك لنومك عندي الليلة الماضية.»

فأغمضت بوتز عينيها واخذت تخرخر.

اثناء ذلك عادت جيني تفكر في رايف، انها تدرك الآن ان مشاعرها نحوه لم تعد مجرد جاذبية، بل اصبحت اعمق من ذلك بكثير واهتزت من اعماقها خوفاً من ان تكون وقعت في حب رايف رغم جهودها في تجنب ذلك، ذلك لأنها كانت واثقة من انه لا يمكن ان يبادلها حباً بحب، وكيف يكون ذلك وقد دفن قلبه مع زوجته الميتة؟

لكنه قد يشعر بالرغبة في جيني، وقد يراها جذابة، ولكنه لا يشعر نحوها بمثل ما تشعر هي به نحوه، وعليها ان تقرر ما ستفعل في هذا الشأن، ولكن ماذا بإمكانها ان تفعل، ان كل امرأة واثقة من نفسها لا بد ان تلاحق رايف حتى توقعه في حبها، لكن جيني كانت قد ابتدأت ترتاب جدياً، في انها امرأة واثقة من نفسها، فهي حالياً قد اخذت تشعر بأنها امرأة لا حظ لها على الاطلاق.

بعد ان اغتسلت ونظمت شعرها، شعرت بشيء من التحسن، وإذ تذكرت وعدها بأن ترافق سيندي إلى مدرسة الحضانة، فكرت في انه ربما من الأفضل ان ترتدي ملابس جميلة اليوم، وهذا لتقوية ثقتها بنفسها. فارتدت احد ملابسها المفضلة لديها، بنطلون اسود وكنزة زرقاء موشحة بألوان أخرى، وكانت الكنزة طويلة، وكانت هذه الملابس قد ارتدتها حين ذهبت إلى النزهة مع رايف، وإذ انقبض قلبها لهذه الذكرى، فكرت في ان تغير هذه الملابس، ولكن... هل يغير هذا من شعورها

نحوه؟ تنهدت، ثم اتجهت نحو السلم، مستعدة لمواجهة رايف.

كانت غرفة الجلوس خالية، وإذ شعرت بنوع من الارتياح، حدثت نفسها بأن من الأفضل ان ترجىء هذه المواجهة إلى ان تنال شيئاً تاكله. كانت قد فرغت من تناول الخبز المحمص واخذت ترشف فنجان قهوتها الثاني عندما رأت القطة بوتز، والتي كانت انهت افطارها لتوها والمكون من طعام خاص بالقطط، رأتها تقفز إلى الأريكة ثم تعود إلى النوم.

جلست جيني إلى جانب القطة الغافية واخذت تمر بيدها إلى فرائها الناعم، كانت للقطة ملامح لا تشوبها شائبة ولون رمادي مبقعاً بالبياض بشكل يبدو وكأن فناناً رسمها بيده. اخذت جيني تفكر في احتمال ان تضيف القطط إلى مجموعتها، ثم اخذت تتخيل تصميمات مختلفة عندما قطع عليها حبل افكارها صوت يقول: «لا استطيع ان اصدق ان هذه القطة قد عادت إلى النوم.»

قال الجد هذا وهو يدخل غرفة الجلوس.

فقالت جيني: «أذكر انني قرأت مرة ان القطط تمضي ثلثي عمرها في النوم.»

قال الجد: «إذن فهذا هو الأمر.»

ابتسمت جيني وهي تتجاوزه بنظراتها لترى ان كان رايف معه، ولكن الجد قال: «ان رايف ليس هنا، فقد ذهب ليفض بعض المشكلات مع بائع، ثم يحضر بعض مواد التموين، ولن يتأخر.

فقالت: «ليس عليك ان تتستر عليه.»

تنهد الرجل العجوز قائلاً: «لا فائدة من التظاهر بانني لا اعرف انكما قد تشاجرتما الليلة الماضية.»

«هل حدثك رايف عن ذلك؟»

«كلا بالطبع، ولكن لدي اذنين في رأسي، فقد سمعتكما صاعدين إلى الطابق العلوي الليلة الماضية، ثم رأيتك مدلاة على كتفه وقد بدا عليك السخط.»

«نعم، ومازلت ساخطة.»

«هل هذا هو السبب في ان رايف نام في غرفة الضيوف الليلة البارحة؟»

إذن، فما سبق وتوقعته جيني كان صحيحاً، فقد نام في الغرفة التي كان ينام فيها مع سوزان، وتملكها ألم بالغ لذلك اجابت: «عليك ان توجه اليه هذا السؤال، انني لا احلم بان اتمكن من قراءة ما يدور في فكره، إذ من المستحيل تخلل صومعته السميكة تلك على كل حال.»

فقال الجد: «ألا ترين؟ ان رايف يتصرف بهذا الشكل لأنه يهتم بك حقاً، فلو انه لم يكن يشعر بالخوف من مشاعره نحوك، لبدا سعيداً بشوشاً ولما تصرف كدب يؤلمه كسره.»

قالت ذاهلة: «اتريد القول ان رايف يتصرف كالمعتوه بسببي أنا؟ هل انا اجعله تعيساً؟»

«كلا، أبداً، حسناً ربما كنت تسببين له الأرق في الليل.. لا اريد ان اتدخل في شؤونكما... صدقيني... انا فقط ظننت انه قد يكون بامكانك استعمال شيء من... لا أدري.» وحك رأسه. «أعني كيفية التعامل مع ابني. انني اعلم انه ليس من الطباع.»

www.liilas.com

«يمكنك ان تقول ذلك مرة أخرى، وانا اقدر أي نصيحة منك بالنسبة إلى وضعه.»

«لا تسيئي فهمي، انني احب ابني إلى أقصى حد، وقد انشأته نشأة حسنة، أيضاً وقد كافح طويلاً لكي يصل إلى حيث هو الآن، لم يقدم إليه احد شيئاً على طبق من الفضة، وإنما كان عليه ان يبذل وسعه للحصول على ما يريد، ولكن لا ينبغي اغفال ان موت سوزان قد بدّله، فجعله أكثر خشونة.»

«انني اعلم جيداً انه كان يحبها كثيراً.» همست جيني بذلك شاعرة بأنها تكاد تختنق.

فقال: «لقد كان رايف في حالة سيئة بعد وفاة سوزان وكانت تلك أياماً صعبة بالنسبة إليه، صعبة تماماً، لقد كنا موتها يدمره.»

حولت جيني نظراتها بعيداً وهي تغالب دموعها، لم تكن تريد ان تسمع هذا، والذي يجعل الألم الذي تشعر به أسو

عاد الرجل يقول بخشونة: «لم يشأ رايف ان يقع في الحب مرة أخرى، ولكن من الواضح انه قد وقع فعلاً في الحب ومعك انت.»

حدقت جيني في الرجل العجوز بحيرة: «هذا لا يبدو لي واضحاً.»

«ولكنه تزوجك، أليس كذلك؟»

فاومأت بالإيجاب، ان الكثيرين يعتبرون ذلك دليلاً على الحب، وعلى رغبته في الإلتزام بالزواج، لكن هذه لم تكن القضية مع رايف، ولكنها لم تكن تستطيع قول ذلك لوالد

وتابع هذا يقول: «وليس هذا كل شيء، فقد رأيت الطريقة التي كان ينظر بها اليك.»

لم تستطع مقاومة نفسها من ان تسأله: «وكيف كان ينظر إلي؟»

«بنفس الطريقة التي ينظر فيها هوغو إلى مجلات الطهي الأوروبية وهي تعرض آخر فنون الطهي... وهي الجوع.»

لكن هذا لم يكن يعني لها سوى ان رايف يرغب بها حقاً، وهذا لا يعني انه يحبها.

اضاف الرجل: «ثم هنالك تصرفاته، وكما سبق وقلت، رايف يتملكه الكدر لأنه وقع في غرامك رغم إرادته، لأنه لا يريد ان يعاني مرة أخرى ما عاناه عندما فقد سوزان.»

من ناحية لم تستطع جيني ان تلوم رايف، لأنها هي أيضاً لم تكن تريد ان تحبه وذلك لنفس السبب، فهي لم تشأ ان تعاني نفس الألم والوحشة إذا هو هجرها كما هجرها والدها من قبل، ولكنها لم تكن واثقة من موافقتها على تفسير سلوك رايف، فقد يكون سبب تصرف رايف كذب يعاني من وجع الضرس هو ندمه على الزواج منها... لأنه كان يشعر بالذنب إذ يكون معها في الوقت الذي يكون قلبه مع سوزان.

وعاد الرجل يقول: «فكري فقط في ان من المحتمل ان رايف يتصرف بذلك الشكل لأنه يحبك، هل بإمكانك القيام بذلك فقط؟ ثم حاولي ان تتحلي بالصبر معه.»

«لا أدري بالنسبة إلى التحلي بالصبر معه، ولكنني سأفكر في ما قلته، وشكراً لحديثك معي هذا، انني اقدر ذلك.»

فقال: «لا داعي للشكر، فأنت من الأسرة الآن، وهذا اقل ما يجب علي نحوك، فقط لا تخبري رايف بثرثرتي هذه.»

www.liilas.com

قالت تطمئنه: «لا يمكن حتى ان افكر في ذلك.»

• • •

قالت السيدة كينت معلمة مدرسة الحضانة.

«إبدأ انت أولاً، يا هانك، وبعد ذلك يمكن لسيندي ان تقدم ما تريد ان تعرضه.»

فقال هانك وهو يقف في مقدمة الصف: «لقد احضرت بن لتقديمه إلى الصف للتفاخر.»

وتوقعت جيني وكانت تجلس في مؤخرة الصف، ان بن هذا ربما يكون حيواناً أو حتى حية، ولكنها رأت بدلاً من ذلك، دمية، وإذ نظرت حولها إلى الأطفال الآخرين في الصف، أدركت ان لا احداً منهم بدت عليه أية دهشة.

وكان هانك يقول مزهواً: «ان بن سيساعدني على ان اكون والداً جيداً ذات يوم، لقد اعتدت ان اتدرب بشقيقتي الوليدة، ولكنني كدت اوقعها على الأرض، وهكذا احضرت لي والدتي بن لكي أتدرب عليه، والآن عندما يكون على والدتي ان تضع الحفاظ لشقيقتي الطفلة، يكون عليّ ان اضع الحفاظ لـ بن، وانا الآن سأريكم كيف افعل ذلك، لأنه ليس سهلاً، على الواحد منا ان يكون ذكياً لكي يستطيع القيام بهذا.»

اثناء استماع جيني إلى تقديم هانك الرصين لدميته اخذت تفكر في روعة ان يتمكن الانسان من تقدير دور الأبوة في هذه السن الصغيرة، ربما لو كان والدها قد تعلم منذ أهمية الأبوة، لكان طريق حياتها قد اختلف.

استقرت نظرات جيني على سيندي، لقد كان رايف يعلم

مبلغ أهمية الأبوة... هذه الأهمية التي جعلته يتزوج من امرأة لا يحبها في سبيل ان يحتفظ بابنته، وبينما جيني كانت ما تزال تقاوم فكرة انها تحب رايف، إلا انها تقبلت فكرة انها اخذت تحب سيندي.

لكن سيندي لم يكن لديها مثل هذه الشكوك وهي تقف لتقدم هديتها: «اعتادت جيني ان تكون صديقتي، والآن اصبحت والدتي، وهي تصنع دببة، وهي مشهورة، وانا مسرورة لأنها والدتي الجديدة، وهي الآن ستحدثكم عن الدببة.»

وبهذا التقديم جلست سيندي لتقف بعدها جيني، فتحت حقيبة من الصوف الخشن كانت احضرتها معها ثم اخرجت منه الدببة واحداً بعد الآخر، بمختلف الأحجام، ثم ابتدأت بأصغرها وطوله عشرة سنتمترات.

قالت: «الدببة، مثل الناس تأتي بمختلف الألوان والأشكال والأحجام، من الأحجام الصغيرة البدنية مثل هذا، إلى الأنحف والأطول مثل هذا.» كانت جيني قد قلبت الأمر في ذهنها عما إذا كان عليها ان تخوض في تاريخ الدببة بما في ذلك نشأتها بشكل كاريكاتور سياسي وذلك سنة ١٩٠٠ اثناء حكم الرئيس تيدي روزفلت حين عودته من رحلة صيد، ولكنها ما لبثت ان تخلت عن هذه الفكرة، فهؤلاء اطفال في الخامسة من اعمارهم لا يفهمون شيئاً من ذلك.

وبدلاً من ذلك قررت ان تتحدث عما بإمكان الدببة الطيبة ان تفعل.

«انكم تعلمون ان الدببة تحسن الاستماع تماماً،

فبإمكانكم ان تخبروها بكل أسراركم عالمين بأنها لن تخبر بها احداً آخر، كل ما يحتاجه الدب في الحقيقة هو الكثير من المحبة، ان احتضانه مرتين في اليوم أمر جيد.»

كانت قد احضرت معها احد دببتها الشعبيين والذي يمثل الجد، وكان الأطفال يبتهجون بمنظر الدب الذي يضع نظارات، وإذ ادارت الدب الجد بين الاطفال يتفرجون عليه، قالت: «ان الدب الجد يكبر في السن، لهذا هو بحاجة إلى وضع نظاراته رغم شكواه منها طوال الوقت.»

فقال طفل صغير: «هكذا يفعل جدي، أيضاً وهو أيضاً يضيع نظاراته على الدوام.»

«حسناً، لقد اعتاد الدب الجد ان يضيعها أيضاً، إلى ان خيطتها فيه بالإبرة، وليس معنى هذا انني أريدكم ان تفعلوا ذلك مع جدودكم.» اسرعت جيني تقول هذا خوفاً من ان يفكر احد هؤلاء الاطفال بعمل كهذا.

بعد ذلك أدارت جيني بين الأطفال عدة صور لدببتها المكسوة بالثياب: «هذه بعض الدببة التي صنعتها، كان عليها ان تبقى في البيت هذا النهار، ولكن الدب الجد جاء معي ليريكم كيف تبدو دببتي.»

وإذ كانت جيني قد ألبست بعض دببها التجارية التي احضرتها معها بعض الملابس، فقد احدث ذلك ضجة كبرى بين الأطفال، واضافت جيني: «ان الأطباء يحبون الدببة هم أيضاً، حتى انهم يستعملونها في المستشفيات لكي يجعلوا مرضاهم يشعرون بالتحسن.» وكانت جيني

قد عرفت في الواقع، بعض اطباء الأطفال وحتى اطباء النفس يستخدمون الدببة أثناء العلاج، هذا بالإضافة إلى ان ضباط شرطة وفنيي الطوارىء في سيارات الاسعاف دوماً يحتفظون بدببة في حالة احتاجوا اليها إذا ما كانت لديهم حالة لطفل عصبي، وكانت قد اهدت بعض الدببة لهذا الغرض.

نهضت طفلة تقول: «عندما كان والدي في المستشفى لأجل عملية في قلبه، اعطوه دباً ليمسك به حتى انه احضره إلى البيت معه.»

فقالت جيني: «حسناً، كل منكم سيتمكن من اخذ الدب الجد معه إلى البيت لليلة واحدة، إذا أراد، فقد وافقت السيدة كينت على ان تجعل بيت الدب الجد هنا في الصف، وستسمح لكم بأن تأخذوا الدب إلى بيوتكم في الليل، شرط ان تكتبوا قصة عنه وتحضروه معكم في الصباح التالي، وكما ترون، الدب الجد يكبر في السن، واخشى انه قد اصبح ينسى بعض الأشياء، ولهذا هو بحاجة اليكم لكي تدونوا قصة حياته.

وكانت جيني قد ناقشت هذا الأمر مع السيدة كينت من قبل وقد وافقت المعلمة على هذه الخطة بحماسة: «وكل القصص التي تكتبونها ستجمع معاً في كتاب عن الدب الجد يؤلفه الصف.»

أيد الاطفال هذه الفكرة بحماسة كبرى، وسمعت جيني طفلة تقول لسيندي بحسد: «اظنك محظوظة لأن لديك والدة كهذه.» وكانت سيندي تبتسم مشرقة الوجه وهي تومىء موافقة، اخذت جيني تفكر باكتئاب لو ان رايف يحس بنفس

الشيء... بالنسبة إلى انه اخذها زوجة له وليس مجرد والدة لابنته.

• • •

«كيف سارت الأمور معك في المدرسة؟» ألقت ميريام بهذا السؤال حين دخلت جيني الأستديو في عصر ذلك النهار. «يبدو عليك الانتعاش لانك كنت في غرفة مليئة باطفال الروضة، هل قدموا اليك وساماً؟»

«لم يكن الأمر سيئاً يا ميريام.»

«ليس سيئاً للغاية بالطبع إزاء غرفة مليئة باطفال في الخامسة صاخبين وجلبتهم تملأ الجو.»

«انهم لم يكونوا بكل ذلك الصخب الذي تتصورينه، وسيحيرك مبلغ التغيير الذي طرأ على اولئك الأطفال مما كنت عليه عندما كنا اطفالاً في الروضة.»

«وكيف تغيروا؟»

«مثلاً، لقد احضر صبي منهم دمية لتقديمها إلى الصف واخذ يتحدث عن كيف انه يتمرن على تحفيظ دميته هذه بنفس الطريقة التي تقوم بها والدته لشقيقته الطفلة.»

قالت ميريام: «قد يكون هناك أمل بالنسبة للجيل القادم.»

«حسناً، فلنركز الآن على الحالة هنا الآن، هل قررت شركة التأمين شيئاً حاسماً اثناء غيابي؟»

فاومأت ميريام قائلة: «يبدو ان مندوبها متشكك بعض الشيء بالنسبة إلى شيئين، السقف وما حصل الآن.»

«وهذا يستلزم اكثر من مجرد الشك، فهو جريمة، انني

استطيع ان اصدق ان الشرطة اتخذت دببتي التالفة بمثابة شهود.»

«لا أكاد استطيع ان اصدق ان هناك من دخل إلى هذا المكان الليلة الماضية.»

«لقد اقفلت الباب بعد خروجك، يا ميريام انني واثقة من ذلك.»

«انا أيضاً واثقة من ذلك، فقد سمعت صوت المفتاح يدور في القفل.»

فقالت جيني وهي تحتضنها: «هذه شهادة بأنني لم افقد عقلي.»

«ما الذي تتحدثين عنه؟»

«لقد كنت واثقة من انني كنت اقفلت الباب الليلة الماضية، ولكن رايف قال انه كان مفتوحاً عندما دخل هنا الليلة الماضية، لقد اتهمني بنسيان اقفاله، ولكنني لا استطيع ان افكر بوضوح عندما يكون موجوداً. وهكذا نسيت ان اخبره بأنني ضربت جرس الإنذار.»

«هل كان هذا قبل أو بعد حضور زوجك؟»

«بل قبل ذلك، ولكنه جعلني أنسى ان أخبر...»

«نعم، نعم، أعلم ذلك، حتى بعد ثلاثين عاماً مازال زوجي يجعلني أنسى.» قالت ميريام ذلك وبريق الرضا في عينيها، وعندما لم تقل جيني شيئاً، عادت ميريام تقول: «ما الذي يزعجك إذن؟ لا بد ان هنالك شيئاً سيئاً، ولا تحاولي إرجاع ذلك إلى ما حدث للدببة، هنالك شيء آخر يزعجك أيضاً.»

«وهل تقطيع أوصال دببتي غير كافٍ لإزعاجي؟»

«انه اكثر من الكفاية، ولكن مازال هناك شيء آخر، هل تجادلت مع رايف؟»

«لقد حملني على كتفه وخرج بي من امام باب بيتي. انني أسمي ذلك اكثر من مجرد جدال.»

«القاك على كتفه؟ لقد فعل ماكس هذا معي مرة واحدة فقط، وذلك عندما كنا عروسين عائدين من حفلة الزفاف، وقد حقرت نفسي عند ذاك عندما تقيأت كل ما في معدتي، وقد تبددت بذلك كل شاعرية المناسبة، كما تعلمين.»

«لا اظن الرجل يهتم بذلك.»

«حسناً، لا تقولي ذلك، فقد كان استياء ماكس كبيراً، فقد كان يرتدي افضل قميص لديه.»

«انني اتكلم عن رايف، فهو لا يفهم مقدار أهمية الدببة عندي، ولا يفهم مقدار كراهيتي لتلقي الأوامر، انه لا يفهمني وكفى.»

«ألم يخطر ببالك قط ان تصرفاته السيئة هذه لأنه كان قلقاً عليك؟ انك تعلمين ان الرجال تصبح تصرفاتهم غريبة عندما يكونون قد سبق وجربوا الألم.»

«هذا ما قيل لي.»

«هل قال لك رايف انه لا يهتم بما قد يحدث لك، أو ان بإمكانك ان تبقي امام باب بيتك عشرين عاماً؟ عند ذلك عليك ان تقلقي، ما الذي كنتما تفعلانه على عتبة بيتك، على كل حال؟»

«كنت قد ادخلت الدببة إلى بيتي لتوي، حسناً، في الواقع ان رايف هو الذي حملها في صندوقها الخيزراني، ثم اخفيت الصندوق تحت مائدة الطعام خوفاً من ان يأتي احد

للبحث عنها، كما ان للمنزل جهاز إنذار، وان تكن ثقتي بأجهزة الإنذار مازالت ضعيفة بعدما حدث الليلة الماضية.»

هزت ميريان رأسها غير مصدقة: «أي نوع من الاشخاص هذا الذي يريد ان يتلف الدببة؟»

«لقد كانت شركة العاب ميغا ترسل إليّ رسالة صريحة، ويبدو انها مستعدة للمراهنة... حسناً، وانا كذلك، والمسؤول عن ذلك هو من عليه ان يدفع.»

• • •

لأول مرة رأت جيني فيها رايف بعد جدالهما ذاك، كان اثناء تناول العشاء تلك الليلة، وكان صامتاً بادي التفكير والكآبة، وكانت سيندي لا تنفك عن الثرثرة وهي تعيد رواية ما حدث هذا النهار في المدرسة، وكان رايف يستمع إلى كل كلمة قالتها ابنته.

عندما كان انتباهه منصرفاً إلى سيندي، اغتنمت جيني الفرصة لدراسة شخصية رايف. ما الذي جعلها تقع في حبه؟ وماذا فيه جعله يدخل قلبها؟

حسناً، فهو والد طيب حنون، وقد عرفت ذلك منذ البداية ومع ذلك كان بإمكانها ان تتجنب الوقوع في غرامه، ام انها كانت تخدع نفسها؟ اخذت جيني تتساءل عن ذلك وقد تملكها الضيق، هل كانت تحدث نفسها بأن شعورها نحوه كان مجرد افتتان بينما هي في الواقع كانت قد ابتدأت بالشعور باكثر من ذلك؟

كل ما تعرفه انها وقعت الآن وملأها الذعر لهذا، لأنه لم يبد على رايف أي دليل على انه أحبها هو أيضاً.

www.rwayas.com

كان ينبغي ان يكفيها انها اصبحت جزءاً من الأسرة، وان سيندي وجدها قد استقبلاها بأذرع مفتوحة... وان لديها الآن سقفاً يحميها... حاولت جيني اقناع نفسها بذلك... حسناً، هنالك ثلاثة سقوف في الواقع، بيتها والاستديو، ومنزل رايف هذا... وكذلك طعام على المائدة... ليس طعاماً عادياً، وإنما وجبات غريبة فاخرة لم يسبق لها ان ذاقت معظمها من قبل، وحدثت جيني نفسها بأن عليها ان تنظر إلى الناحية المشرقة من وضعها وليس الكئيبة.

لكن هذه المحاضرة لنفسها لم تنفع كثيراً وهي ترى رايف يستمر في تجاهلها، وبعد العشاء انسحب إلى غرفة مكتبه، هذه الغرفة التي لم تكن جيني قد رأتها بعد ولا تعرف أين تقع، سوى انها في مكان ما في الطابق الأول.

في ذلك المساء، انشغلت جيني بسيندي، فأعادت صبغ أظافرها واشرفت على حمامها ثم وضعتها في فراشها وقرأت لها قصة الجمال النائم، كل ذلك من دون وجود رايف والذي كان مايزال في مكتبه يجري حسابات آخر الشهر، حسب قول والده لها.

عندما انتصف الليل بلغ التوتر من جيني منتهاه، وكانت ذهبت إلى السرير ولكن ليس لتنام، وما لبثت ان نهضت فارتدت بنطلون جينز وقميصاً قطنياً، كانت بحاجة إلى الخروج، ان تستنشق الهواء الطلق، وإذ كانت تعلم برودة الجو في الخارج، اضافت سترة جينز قبل خروجها.

لم يكن يبدو ضوء من تحت باب غرفة نوم الضيوف المغلق، وهكذا لم تعلم جيني ما اذا كان رايف قد لجأ إلى فراشه أم مازال يشتغل في المكتب، وفي كلتا الحالتين لم

تكن تريد مواجهته، لم تكن تريد الجدال بل تهدئة نفسها، والتمشي لفترة قصيرة كفيلة بذلك، وهي لن تبتعد بل ستبقى حول البيت.

كان ضوء القمر مازال كافياً لترى جيني طريقها وهي تسير في الطريق المؤدي من باب المنزل الخلفي إلى امام المطعم. كانت معظم اوراق الأشجار تتساقط الآن، وكانت الأغصان عارية، وارتجفت جيني، ليس بسبب برودة الهواء فقط وإنما للشعور المفاجيء بالوحشة الذي تملكها.

وضعت يديها في جيبيها وقد قررت انها مادامت في الخارج فلا بأس في ان تتابع طريقها إلى حيث الاستديو تتفقده لتتأكد فقط من ان كل شيء على مايرام، وإذ وجدت الأمور هادئة، وأوشكت على الابتعاد، اذا بها تسمع شيئاً، خشخشة أوراق الشجر.

تجمدت جيني في مكانها وقد أدركت، بعد فوات الأوان، ان تجوالها في الأنحاء اثناء وجود شخص متطفل مازال حراً طليقاً، تجوالها هذا ليس من الحكمة في شيء، وكانت على وشك ان تصرخ عندما برز أرنب من وراء المنعطف، إذن فهذا كان سر تلك الخشخشة التي سمعتها، وتملكها الارتياح، فقد كانت تتصور الإزعاج حيث لا يوجد شيء.

وإذ كان التوتر مازال يتملكها، فهي لن تستطيع النوم مطلقاً الآن، فلماذا لا تقوم ببعض العمل مادامت قريبة منه انها لن تبقى في الاستديو وانما تحضر ثوب الدمية الأثري القديم ذاك والذي كانت ستحوله إلى ثوب للدب الطفل الذي كانت تصنعه حالياً والذي قد تنهيه هذه الليلة، هذا مع انها لم تحصل على ما يكفي من الراحة في المدة الأخيرة،

www.mlads.com

وكانت هذه الأفكار تمر في ذهنها وهي تبطل عمل جهاز الإنذار قبل الدخول إلى الاستديو.

لكنها ما ان خطب خطوتين إلى الداخل، حتى أدركت خطاها، ذلك انها لم تكن بمفردها في المكان... لقد كان هناك شخص آخر! ولم يكن رايف... فقد أحست بذلك غريزياً، لقد كان ثمة خطر هنا... خطر حقيقي.

استدارت لتخرج، ولكن قبل ان تستطيع الحركة، كانت يدان قويتان تمسكان بها من الخلف، ثم يضع الرجل المجهول يداً خشنة على فمها بكل قسوة يمنعها من الصراخ.

الفصل العاشر

لقد خرجت جيني مرة أخرى، وهذه المرة لم يكن رايف سيكتفي بمجرد القائها على كتفه، بل اقسم بصمت، وساقاه الطويلتان تطويان المسافة بين بيته وبيتها، اقسم بأن يلقنها درساً لن تنساه أبداً.

لكنه بدلاً من ذلك، دخل ليرى مشهداً لن ينساه أبداً... مشهد جيني وهي تكافح رجلاً مقنعاً.

لم تعرف جيني ماحدث، فبينما كانت تكافح لكي تفلت من قبضة ذلك الرجل المخيفة، وإذا بها في اللحظة التالية تجد نفسها حرة ورايف هناك يلكم بقبضته وجه الرجل الدخيل بعد ان استعمل طريقة قتال الشوارع التي لا بد كان تعلمها عندما كان مراهقاً.

لم يكن الرجل المقنع بقادر على مقاومة رايف، وسرعان ما انتهت المعركة بتكوم ذلك الرجل عند قدمي رايف.

أسرع رايف إلى جانب جيني يسألها: «هل انت بخير؟» واخذ يتفحص معالم وجهها بقلق باحثاً عن أي أذى قد يكون لحق بها.

أجابت وهي ترتجف: «انا بأحسن حال، انه لم يؤذني.»

وعندما تصاعد انين الرجل وبدأ يعود إلى وعيه، ترك رايف جيني ثم انحنى يزيح قناع الرجل.

هتفت جيني: «السيد غاردنر ما الذي تفعله هنا؟»

أجاب المقاول: «انك مازلت مدينة لي بنقود.»

www.liilas.com

سألته جيني غير مصدقة: «وهكذا اقتحمت بيتي لتحصل عليها؟»

فأمرها رايف باختصار: «نادي الشرطة، يا جيني، ان بامكان غاردنر ان يوضح لهم الأمر.»

قال الرجل محتجاً: «لا حاجة إلى اقحام الشرطة في هذا الأمر.»

رفعه رايف من مقدمة قميصه وألقى عليه نظرة ملتهبة بالغضب: «هناك كل الحاجة إلى اقحام الشرطة. لقد هاجمت زوجتي، فاعتبر نفسك محظوظاً لأنني لم افعل اكثر من إعادة تنظيم وجهك القبيح.»

وعندما اخذ غاردنر يقاوم امساك رايف به، تغلب عليه رايف وهو يأمر جيني، والتي كانت تأخرت عن استدعاء الشرطة، بأن تحضر اليه شيئاً يقيد به الرجل. فأسرعت تنزل حبلاً معلقاً على الجدار وتناوله إياه.

عندما اصبح الرجل مقيداً تماماً، عاد إلى توسلاته: «اسمع يا رايف، فهذه لم تكن فكرتي، انك تعرفين، فأنا لست من اصحاب الجرائم...»

«انك هاجمت زوجتي.»

«لم لكن اعرف من هي. فداخلني الرعب منها، لم اكن افكر بوضوح.»

«يمكنك ان تقول هذا الكلام مرة أخرى، ولكنك ستندم على هذا اليوم بقية حياتك.»

«انني بحاجة إلى المال.»

سألته جيني: «ومن دفع لك اجرك لتقوم بهذا؟ شركة ميغا للألعاب؟»

«اذا انا اعترفت فسأقع في المشاكل.»

ساله رايف وصوت صفارة الشرطة يعلو: «ألا تظن نفسك في المشاكل الآن؟»

شحب وجه غاردنر واخذت عيناه تتحولان من جانب إلى آخر: «لم يقل احد انه من الممكن ان يقبض عليّ، لقد قالوا لي في شركة ميغا ان الأمر بسيط للغاية، ان أخيفها فقط وبهذا لا تفتح شركتها.»

تقدمت جيني مقتربة منه تحدق فيه قائلة: «إذن فأنت تعترف بانك ذلك الشخص الذي كان يقوم بالاتصالات الهاتفية، ثم سرقت تصميماتي... وأسوأ الأمور هي تمزيقك دميتي وتقطيع اوصالها.» وتملكتها ثورة من الغضب أوشكت معها ان تقطع ذراعي الرجل، بينما كان رايف ينظر اليها بإعجاب مشوب بالتهكم. ولكنه رأى أيضاً ان غاردنر قد بدت عليه حيرة صادقة إزاء اتهامها الأخير له: «قد اكون فعلت هذه الأمور، ولكنني لم اقطع قط أياً من تلك الدببة، ان الاشخاص المنحرفين فقط هم الذين يقومون بأعمال كهذه، ولكنني لم افعل قط شيئاً كهذا.»

قالت له: «ومن هو الذي فعل ذلك إذن؟»

وقفت تحدق اليه غاضبة، وكانوا رجال الشرطة الذين اتصلت بهم هاتفياً هم انفسهم الذين جاؤوا الليلة الماضية.

قال برت وهو يدخل مع رفيقه إلى الاستديو: «يبدو انكما وجدتما ما هو اكثر إثارة هذه الليلة.»

قال لهما رايف: «لقد أمسكت هذا وهو يهاجم زوجتي، وكان يضع قناعاً على وجهه، وكان مقتحماً الاستديو، وقد اعترف بأنه الشخص الذي كان وراء اعمال التخريب.»

www.liilas.com

قال غاردنر: «ولكن ليس تقطيع الدببة، انني لم اضع يداً على الدببة.»

سألته جيني: «وماذا كنت تفعل هنا هذه الليلة، إذن؟»

«كان المفروض ان أرش الدهان على بعض الدببة...»

امسك رايف بجيني وهو يراها تهم بالانقضاض على الرجل، بينما قال هذا: «ولكن هذا ليس ككسر ايديها وتقطيع اوصالها، وانا لم افعل مثل...»

«هيا.» قال له الضابط ذلك وهو يوقفه على قدميه ويستبدل بالحبل المقيد به قيداً من عنده ثم يقرأ عليه البيان الرسمي بحقوقه.

وعندما قاد الضابطان غاردنر إلى الخارج، سمعت جيني برت يقول له: «اسمع، ألست المقاول الذي وضع ذلك الحاجز في بيتي في الربيع الماضي؟ حسناً، لقد انهار كل شيء...»

قال رايف لها بعد ان خرج رجال الشرطة بغاردنر: «انت تعرفين ما يعني هذا، أليس كذلك؟ وهو ان الرجل الذي قطع اوصال الدببة مايزال حراً طليقاً في هذه الأنحاء.»

«ربما كان السيد غاردنر كاذباً، إذ من غير المعقول ان تدفع شركة ميغا لشخصين لكي يضايقوني.»

«كما انه من غير المعقول ان يدفعوا الرجل لأجل ذلك، انهم سيدفعون الثمن لما فعلوه.»

قالت جيني: «انهم يدفعون الآن، فقد سمعت في النشرة الأخيرة للأخبار الليلة ان شركة ميغا متورطة في مشروع احتكاري ضخم غير قانوني وهي الآن خاضعة للتحقيق من قبل السلطة، واظن لديهم الآن مشاكل اكبر من ان تجعلهم يلتفتون إلي وإلى شركتي، وذلك إلى وقت لاحق.»

سألها: «وماذا لو لم يكن غاردنر هو الشخص الذي اقتحم هذا المكان الليلة الماضية؟»

قالت له وهي ترتجف: «اذا كنت تحاول تخويفي فقد نجحت في ذلك.»

«انني لا احاول تخويفك، هل لديك فكرة عما شعرت به عندما وجدت انك تركت البيت دون ان تخبريني؟ ثم القدوم إلى هنا لأراك تتعاركين مع رجل مقنع؟ كان من الممكن ان يلحق بك أذى كبير هذه الليلة.»

فقالت: «اعلم ذلك، ولم اكن أريد القدوم إلى هنا، في الواقع بل كنت اريد ان اتمشى فقط حول البيت، ولما رأيت نفسي قريبة من هنا، فكرت في ان احضر بعض العمل اقوم به هذه الليلة إذ كنت أرقة قد جافاني النوم، على كل حال...» وتلاشى صوتها وهي ترى النظرة التي رمقها بها، ثم قالت متنهدة: «اعمل معي معروفاً يا رايف، ولا تعنفني أو تلقي عليّ محاضرة. يكفي ما لقيته هذه الليلة.»

بدت من الهشاشة والضعف إلى حد لم يسمح له قلبه بتعنيفها لخروجها وحدها، فقد ادركت الآن مقدار غلطتها، خصوصاً إزاء شعوره بالسرور البالغ والشكران لعدم اصابتها بسوء.

وهكذا لم يفعل سوى ان ساعدها في اقفال المكان، انه يريد ان يحميها ويبعد عنها كل أذى. ثم ساعدها في ارتداء ثياب النوم قبل ان يغطيها جيداً.

ترددت جيني لا تدري كيف تتعامل مع رايف الجديد هذا... أتراه يتوخى مجرد الشهامة معها، كما فعل عندما بكت اثناء شهر العسل؟ أم هناك شيء آخر؟

www.anbaa.com

وإذ أحس بترددها، فسره بانه نتيجة المهاجمة التي تعرضت لها، كان قد صمم على عدم استعجالها بشيء، الشفاء التام فقط هو الذي يجعله ينتهز الفرصة للحصول على امرأة في مثل هذه الظروف. وهكذا حاول طمأنتها وهو يضعها في السرير. ولم يرقد في نفس السرير إلا بعد ان استغرقت في النوم.

وجد رايف من الصعوبة البالغة ان يغمض عينيه حيث ان احتمال فقده لجيني أعاد إلى ذاكرته مخاوفه القديمة كما ان الجرح القديم مازال لم يشف بعد تماماً.

* * *

في الوقت الذي استيقظت فيه جيني ونظرت إلى الساعة بجانب سريرها، أدركت ان الوقت كان الحادية عشرة صباحاً. لا بد ان رايف قد اقفل المنبه، ثم تذكرت ان هذا اليوم هو السبت وليس عليها ان تفتح الاستديو.

اخذت تتمطى، غير قادرة على ان تصدق ان الوقت متأخر إلى هذا الحد. عند ذلك فقط ادركت ان الفراش الملفوف الذي كانت وضعته ليفصل السرير إلى قسمين، هو متكوم الآن على الأرض. قطبت جبينها وهي تتساءل عما إذا كانت سلامتها طوال الليل كانت حقيقة أم حلماً.

كان رايف قد ترك لها قطعة ورق على المنضدة التي بجانب السرير يقول فيها: «استريحي هذا الصباح ونامي قدر امكانك، أبي اخذ سيندي إلى المكتبة هذا الصباح لإحضار قصص جديدة، لهذا استمتعي بالهدوء والسلام رايف.»

كانت هذه أول مرة ترى فيها خطه، باستثناء رؤية

توقيعه على وثيقة الزواج، اخذت تدرس كتابته بإمعان، وكأنها تبحث عن أسرار شخصيته، وأخيراً قررت ان خطه ينبيء عن أنه رجل محتدم المشاعر عديم الصبر.

كادت تضع رسالته في صدرها قريباً من قلبها، لولا ان انتبهت إلى نفسها، كانت تتصرف وكأنها تلميذة مدرسة واقعة في الغرام وقد وصلتها أول رسالة غرام من حبيبها.

رحبت برنين الهاتف عندما قطع عليها افكارها، فرفعت السماعة وإذا بها تسمع صوت ميريام: «ما هذا الذي سمعته عن تعرضك لهجوم الليلة الماضية؟ هل انت بخير، هل قبضوا على المعتدي؟»

«انني بخير وقد قبضوا على الرجل، انه السيد غاردنر.»

«ذلك المقاول المحتال؟ كان يجب ان اعلم ذلك فهو لم يعجبني قط، ان له عيني مخادع، ماذا بالنسبة إلى الدببة؟ هل اضر بأي منها؟»

«كلا، ثم انه ادعى انه ليس الشخص الذي اقتحم المكان الليلة قبل الماضية، وانه لم يقطع أي واحد منها، كما انه كان قد احضر علبة دهان معه ليرش الدببة.»

وسمعت جيني ميريام تشتم بصوت خافت، وعندما هدأت سألتها: «هل تصدقين انه لم يقطع اوصال الدببة؟»

أجابت جيني: «لا أدري.»

«هذا لا يعجبني يا جيني.»

ردت عليها بجفاء: «اما انا فيعجبني جداً.»

«ماذا يقول رايف؟»

«ليس الكثير، كان في غاية الرقة، في الواقع حتى انه لم يحتقني على الذهاب إلى الاستديو الليلة الماضية.»

www.rmlas.com

«هل هو يظن ان ذلك المحتال غاردنر يقول الحقيقة؟»

«انه يظن ان من المحتمل جداً ان المحتال الحقيقي ما زال حراً طليقاً.»

فسألتها ميريام: «ما فائدة جهاز الانذار إذن؟»

قالت: «اظن ان الخطأ مني جزئياً، فقد جعلت قفل الجهاز يعمل بأرقام تاريخ ميلادي لكي لبطل عمله، ولم يكن صعباً على غاردنر أن يعلم تاريخ ولادتي ومن ثم استعمل ذلك.»

«ظننتك غيرت الجهاز.»

«لقد فعلت، وكنت قد استعملت اسمي من قبل، انها ليست فكرة جيدة أيضاً، وقد أدركت ذلك الآن، وقد ألقى عليّ رايف محاضرة قصيرة الليلة الماضية عندما وضعني في الفراش، انني اعدك بأن استعمل في المرة القادمة كلمة السر، والتي لن يستطيع احد آخر معرفتها.»

قالت ميريام: «هل وضعك رايف في الفراش؟ يبدو وكأنك حصلت على شيء جيد في تلك الليلة؟»

«لقد كانت تلك شهامة منه فقط.»

قالت ميريام ساخرة: «هذا مؤكد، وانتما لم تعد بينكما مشاكل، أليس كذلك؟ قولي لي الآن انني ثرثارة وان لا اتدخل فيما لا يعنيني...»

قالت جيني لها بمودة: «انك ثرثارة ولا تتدخلي فيما لا يعنيك.» وكانت تدرك ان ميريام لن تبالي بكلامها هذا.

«ولكنني اقول ان عليك ان تدعي كل تلك الشكوك وتتبعي قلبك.»

بعدما انتهت المكالمة بفترة قصيرة، رأت جيني ان نصيحة ميريام قد تكون جيدة، ولكن الأمور ليست بتلك

السهولة، فبينما أبدى رايف اهتماماً صادقاً بها الليلة الماضية، وأبدى ارتياحاً بالغاً حين رآها بخير، فهو قد عاملها، وهو يضعها في السرير، وكأنها شقيقته، فهل هذا سلوك رجل محب؟ أنّى لها ان تعلم؟ لم يسبق قط ان احبها رجل من قبل، ولهذا لم تكن لديها أية خبرة، كانت في الواقع تعمل في ظلام تام.

عندما دخل رايف إلى الاستديو، الليلة الماضية، وانقذها من بين يدي غاردنر، ألقى عليها نظرة اهتزت لها، فهل هذا هو الحب؟

لم تكن جيني تعرف، ولكنها كانت تعرف ان ليس بإمكانها ان تجلس هنا تتأمل في هذا الأمر طوال النهار.

بعد ان غسلت شعرها، كان النهار قد انتصف تقريباً، ولكي تشعر بالانتعاش، قررت ان ترتدي قميصاً احمر بلون الكرز، وبنطلوناً اسود، وقبل ان تنزل إلى الطابق الأسفل، وضعت رسالة رايف بجانب السلسلة التي كان اهداها لها يوم الزفاف، وذلك في حقيبة في غرفة ملابسها.

وفي طريقها عرجت على المطبخ الصغير في جناحهما هي ورايف، حيث صنعت لنفسها فنجان قهوة، وعندما دخلت إلى المطعم، كانت سيندي وجدها قد عادا من المكتبة، وكانت سيندي تقول: «وبعد ذلك، نفث التنين النار من فمه فهربت الفارة واختبأت لئلا تحترق، هل تسمعني يا والدي؟»

أجاب الوالد بذهن غائب: «اسمعك طبعاً، انني دوماً استمع اليك.»

«حسناً، وبعد ذلك، كانت الفارة.. انتظر... أين اصبحت؟»

«كنت تخبرينني بالحكاية التي كنت سمعتها في المكتبة.»

«انما لم نسمعها فقط، يا والدي، وإنما تفرجنا عليها

www.liilas.com

أيضاً، فقد كان هناك راوية حقيقية للحكايات، ما أروعها.»

«أراها رائعة حقاً، والآن يمكنك ان تخبريني بالبقية فيما بعد، فاذهبي لتغسلي يديك قبل الغداء، يا صغيرتي.»

امتثلت سيندي لما طلبه منها، وإذ رفع رايف نظره ورأى جيني على عتبة الباب، قال: «ها قد جئت، وفي الوقت المناسب، لقد اعد هوغو لنا شيئاً خاصاً لنا.»

سألته: «وما هي المناسبة؟»

أجاب سبود: «المناسبة هي القبض على ذلك الرجل السيء الذي اقتحم مكانك.»

فقال رايف مفكراً: «نعم، ولكن هناك رجلاً آخر سيئاً مازال موجوداً، فقد ادعى غاردنر انه لم يمزق الدببة قط، قائلاً بأن هذا لا بد من فعل رجل منحرف.»

قال هوغو وهو يحرك ملعقته بضيق: «لا تتحدثوا بمثل هذه الأمور في مطبخي.»

سأل سبود: «أي نوع وضيع من الرجال ذلك الذي يكسر ذراعي دب دمية؟»

هزت جيني رأسها: «لا أدري ولكن عندما يعثرون على ذلك الشخص، فساكسر ذراعيه وأرى ان كان سيعجبه ذلك.»

قال رايف: «عليك ان تقفي في الصف، لأنني انا من سيضربه أولاً.» ورأت جيني من طرف عينها هوغو وهو يحرك الطعام في القدر بالملعقة بعنف وتوتر ما جعل المرق يتدفق من جوانب القدر ويحترق، هذا بينما كان والد رايف يقول: «لنت تكسرين ذراعيه وانا اكسر ساقيه.»

قال سبود: «وانا معك، ها، ما هي القضية يا هوغو؟ يبدو عليك التوتر البالغ.»

«كل هذا الكلام الغاضب يؤذي رجلاً له مثل طبعي الحساس.» قال هوغو ذلك وقد بدا عليه الإضطراب واضحاً لحديثهم ذاك.

عندما عادت سيندي من الحمام، كان الحديث قد انتقل إلى موضوع آخر بينما اتجه رايف وأسرته إلى غرفة الطعام. ودهشت جيني وهي ترى رايف يمسك الكرسي لها لتجلس ومست هذه الطريقة الأوروبية القديمة لتكريم السيدات، مست وتراً من نفسها.

احضر هوغو، والذي كان وجهه ما يزال متوهجاً نتيجة الضيق والتوتر الذي كان شعر بهما، احضر قدر الطعام ووضعه في منتصف المائدة وهو يقول بصوت عال: «وعاء الأرضي شوكي.»

قال سبود: «يبدو وكأنك احرقته هذه المرة، لا بد انك كنت في غاية الاستياء من حديثنا حتى كدت تحرق طعامك، يا هوغو.» وربت على كتفه يقول: «سأقوم أنا بالخدمة بينما تعود أنت إلى المطبخ، فأنا لا اريدك ان تحرق شيئاً آخر.»

اصبح وجه هوغو الآن قرمزياً وهو يتركهم، بينما قال سبود بأسف: «ما كان لي ان اتحامل عليه بهذا الشكل، ولكنني لم استطع مقاومة نفسي، هنالك شيء فيه لا أدري ما هو... يدفعني إلى اغاظته. هاك طبقك يا جيني.» وناولها طبق الطعام، فأخذت جيني الطبق ووضعته امامها تنظر اليه وهي تتمتم: «ما هذا؟ انه يبدو وكأنه...» ثم ازاحت جانباً اللحم والجزر والبصل «انه...» ورفعت من بين كل ذلك ذراع دب صغيرة يبلغ طولها الخمسة سنتمترات، لقد كانت هذه من بيتها، وقد عرفت ذلك من قماش الموهير الناعم البني

www.liilas.com

اللون، والذي كان قد فصل عن الدب الذي كان قد قطع منذ ليلتين دون رحمة.

«انها ذراع من دبيتي.»

انطلق صوت رايف آمراً: «هوغو... تعال إلى هنا.»

وعندما جاء الطاهي ووقف عند المائدة، سأله رايف ببرود: «هل لك ان تفسر لنا ما الذي وضع هذه في طعامك؟»

قالت سيندي بصوت عال: «لقد وجدتها أنا.»

سألها رايف: «من أين أتت؟»

«وجدتها في غرفة امتعة هوغو، وجدتها هناك فجئت بها ووضعتها على مائدة المطبخ.»

قال هوغو بسرعة وهو يوشك على الاندفاع خارجاً من الغرفة: «ودون وعي مني ظننتها قطعة سجق فوضعتها مع بقية مواد الطهي، نعم، هذا يفسر الأمر.»

«كلا، هذا لا يفسر الأمر، ما الذي جعل احد أذرعة دبة جيني في غرفة امتعتك، يا هوغو؟»

كان صوت رايف جليدياً باتراً، بدا الانهيار على هوغو وكأنه قصر من الرمال اجتاحته موجة عارمة، فقال باكياً: «لقد فعلت ذلك لأجل المطبخ، انني بحاجة إلى مطبخ اكبر، انني استحق مطبخاً اكبر وشهرة أوسع. ما عملته كان صواباً، كان عادلاً، لقد فعلت ما كان ينبغي ان افعل.»

قال رايف: «ما الذي فعلته بالضبط، يا هوغو؟»

«فعلت ما كان ينبغي، لقد كنت واثقاً من ان جيني عندما تزوجتك، كانت ستعطيك المخزن، ولكن هذا لم يحدث، فهي لم تذعن لذلك، وكنت قد أدركت ان هناك شخصاً آخر كان يقوم بالتخريب، ولكنه كان يعمل ببطء، وكنت اعلم مولغ حبها لدبة

الدببة كما احب انا آنيتي النحاسية الفرنسية الصنع. وهكذا اتلفتها، وذلك لأجعلها تترك المخزن وتبيعه لك، يا رايف، ومن ثم يمكنك ان تجعل ملحقاً للمطعم بالشكل الذي تريده.»

تمتم رايف وقد فهم الأمر: «آه، ملحق يحتوي على معدات حديثه، مطعم واسع لهوغو وكذلك معدات الولائم.»

«نعم، هذا صحيح.» وانهار هوغو على كرسي وأخذ يتمتم بكلمات متنافرة: «فعلت هذا لأجل المطبخ، هل ترى هذا؟ يمكنكم ان تتفهموا الأمر، أليس كذلك؟ كان ذلك لأجل المطبخ، لأجل المطبخ...»

«رايف، احب ان نتحدث معاً.» وكانت قد مضت ساعات بعد ان جاءت الشرطة واخذت هوغو، ساعات امضاها رايف في مكتبه، والذي عثرت على مكانه اخيراً بمساعدة من والده.

اغلقت الباب خلفها غير غافلة عن مبلغ البرودة والإنطواء اللذين كانا يتملكان رايف، وتساءلت عما إذا كان يلومها لكل ما حصل، إذ من الواضح ان رفضها بيع املاكها له هو الذي اخرج هوغو عن طوره، وعلى رايف الآن ان يعثر على طاه آخر، وكانت تعلم انه مهما كان الطاهي الآخر الذي سيأتي، سيبقى هوغو هو الطاهي الجيد غير العادي والذي لا يثمن في مطعم رايف، وها هو ذا الآن قد رحل.

قالت له: «ألا تظن ان علينا التحدث في هذا الأمر؟»

«كلا.»

«حسناً، انا اظن ذلك.» كان من الصعب عليها ان تتحدث عما حصل بينما رايف يرفض المشاركة في النقاش صاحت به: «هل ستبقى جالساً فقط مثل الحجر؟»

صاح بها مجيباً: «انني لست مصنوعاً من الحجر.»

«ها قد أجبت اخيراً، هل هذا يعني انك ستخبرني بما تشعر به؟ ولماذا هذا الإنطواء منك والعزلة؟ انني اعلم ان هوغو كان شيئاً ذا قيمة بالغة في مطعمك وانك متكدر لأنك خسرته...»

قاطعها بغضب: «انك لا تفهمين شيئاً.»

قالت غاضبة هي أيضاً: «حسناً، لماذا لا تفسر لي الأمر إذن؟»

«اشعر بانني الملوم لما حدث.»

«انت؟ وما الذي يجعل اللوم عليك؟»

«لأن هوغو يعمل عندي، وكان عليّ ان أرى دلائل على انه قد اخذ يخرج عن طوره، وكنت دوماً اعرفه متوتر الأعصاب، ولكنني لم أدرك قط ان بمقدوره ان يقوم بشيء كهذا، وكان يمكن ان تتعرضي للأذى لإخفاقي في إدراك ما عليه هوغو من عدم استقرار، ماذا لو كان هوغو فكر في الأضرار بك بدلاً من الدببة؟»

إذن، فهذا هو الأمر، فقالت له: «ألم يخبرك احد قط بأن لديك شعوراً بالمسؤولية يتجاوز الحد؟»

تمتم قائلاً: «نعم، لقد قيل لي ذلك مرة أو اثنتين.»

وضعت يديها على مكتبه، كما كان فعل مرة معها، ثم مالت إلى الأمام تحدق في عينيه: «لا يمكن ان تلوم احد لما حدث سوى هوغو نفسه، وكذلك صديقه ذاك الذي ساعده في إبطال مفعول جهاز الإنذار، حسب قول هوغو. ولكنني لا أراك مسؤولاً على الاطلاق، وإلا كان بإمكانك ان تقول ان كل هذا كان ذنبي انا لأنني لم أشأ ان ابيعك املاكي لتوسيع مطعمك.»

«لا تكوني سخيفة.»

«لن اقبل رأيك إذا لم تقبل أنت رأيي.»

نظر اليها، فأخذت تحدق في عينيه القاتمتي الزرقة متمنية لو تستطيع النفاذ إلى أعماق مشاعره.

وقاطعهما طرق على الباب، ثم صوت والده يقول: «آسف لمقاطعتكما، ولكن سيندي بانتظاركما في غرفتها لكي ترقداها في السرير.» وكانت جيني قد اخذت سيندي مباشرة إلى غرفتها بعد انهيار هوغو، ولهذا لم تعرف الفتاة الصغيرة بمجيء الشرطة لأخذه، ذلك لأن منظر هوغو يبكي، وهو الذي كان يبكي إذا ما تلف الحساء بين يديه، ذلك المنظر كان سيحزن قلب سيندي الصغير لو انها بقيت لتشهد ما يجري.

كانت الصغيرة في انتظارهما، وللمرة الأولى لم تكن تحمل بيديها حكاية الجمال النائم.

سألتهما: «ألا تعرفان من أين يأتي الأطفال؟ أنا اعرف، لقد احضر لي جدي الكتاب من المكتبة اليوم.» ورفعته بيدها تريهما إياه، انني اريد شقيقة صغيرة هدية في العيد.»

تبادل رايف وجيني النظرات بحيرة.

فسألتهما: «الا تعرفان كيف تصنعان الأطفال؟ لقد كنت أنا طفلة ذات يوم، ألا تذكر؟»

«نعم، وكنت أهدأ كثيراً مما انت الآن.»

«انك تعلم ان على الوالدة والوالد ان يحبا بعضهما البعض، ألا تحبان انتما بعضكما البعض؟ حسناً، انكما تحبان بعضكما البعض، أليس ذلك؟»

أومأ رايف إيجاباً، عند ذلك أشرق وجه الصغيرة بالرضا: «هذا حسن، لا تنسيا، فأنا أريد شقيقة طفلة، وإذا ولداً، اعيداه إلى مكانه.»

عندما خرجا من غرفتها بعد ان رقدت، قالت له بعد ان

www.liilas.com

وصلا إلى غرفة النوم: «انني اعلم انك كنت توافق سيندي على اسئلتها لكي تجعلها سعيدة...»

فقال معترفاً: «بل انا احبك يا جيني، وانا اريد ان يكون زواجنا هذا حقيقياً. علينا ان ننسى الماضي، والشيء الأساسي هو ان نتعلم نحن الاثنين كيف نثق بالحياة مرة أخرى، وهذا لن يكون سهلاً، ولكنني اظنه يستحق ذلك، لقد صدمتنا الحياة نحن الاثنين، ولكن هذا لا يعني ان علينا ان نستسلم، ربما علينا ان نحاول النظر إلى هذا الأمر من وجهة أخرى.»

«ماذا تعني؟»

«اعني اننا قد قاسينا وتألمنا كثيراً، وقد حان الآن الوقت للسعادة، اننا نستحق ان نسعد، اننا غير ملومين لما حدث في الماضي، سواء انا ام انت، يا جيني.»

فهمست جيني تقول: «دوماً كنت افكر انني السبب، وان والدي هجرنا بسببي أنا.»

«وانا كنت اظن ان سوزان ماتت بسببي.»

«ولكنها ماتت بمرض سرطان الدم، يا رايف، وما كان بإمكانك ان تصنع شيئاً.»

«وكذلك انت ما كان بإمكانك ان تجعلي والدك يبقى في البيت، لقد كان رجلاً انانياً وإلا لما هجرك قط، لم تكوني انت السبب على الاطلاق، انه هو الأناني.»

كانت الدموع تنهمر فوق وجنتي جيني، ولم تدرك إلا الآن كم كانت تتوق إلى سماع مثل هذه الكلمات التي يقولها رايف، وان الذنب لم يكن ذنبها، والذي يعني انها قد تكون فتاة محبوبة.

قال لها: «بدلاً من الخوف لأن الحياة كانت قاسية معنا،

يمكننا ان نعتبر ان القسم السيء من الحياة قد سبق واجتزناه وانتهينا منه، وان القسم الأفضل في انتظارنا الآن، ما رأيك؟»

«رأيي هو انني احبك، يا رايف مورفي.»

«لشد ما انا مسرور، يا جيني مورفي، هيا بنا نذهب.»

«إلى أين؟»

«لنبدأ شهر عسلنا، لقد استحق ذلك منذ زمن طويل، أليس كذلك؟»

وإذ أومأت موافقة، قال: «انك رائعة الجمال، منذ رأيتك لأول مرة ظننتك...»

فقاطعته: «امرأة مجنونة تهاجمك بالدبابة.»

«كلا، بل ظننتك فينوس في بنطلون.»

«أحقاً؟»

«بالتأكيد.»

سكتت برهة ثم عادت تقول بصوت رقيق: «اتعلم؟ انني لم اقدم اليك هدية الزفاف بعد.»

«ان حبك يكفيني.»

«انني جادة في كلامي.»

«وكذلك انا.»

«انني اريد ان اقدم اليك بيتي هدية الزفاف، وهكذا سيكون بإمكانك ان توسع مطعمك. انني في الواقع اشتريت الأملاك لأجل المخزن وليس لأجل المنزل، فإذا نحن حولنا الطريق المؤدي إلى الاستديو إلى الناحية البعيدة، فأنا واثقة من ان أي مهندس يمكنه ان يبتدع طريقة تجمع المنزلين في مبنى واحد.»

«جيني، لا يمكنني قبول...»

www.liilas.com

وضعت يدها على فمه تمنعه من الكلام: «هس... اعتبر هذا هدية لأولادنا.»

«أولادنا؟ ما احسن هذه الكلمة.» قال ذلك وقد لمعت عيناه.

فقالت: «ولكن هناك أمراً واحداً، إذا جاء الطفل ولداً، فسنحتفظ به، بالعكس مما قالته سيندي.»

«وانا سأحتفظ بك في قلبي... على الدوام، والآن هل لديك شيء آخر تقولينه؟»

«الآن وقد اتيت على ذكر هذا، أحب ان أجري بعض التحسينات في غرفة النوم، بعض الصور على الجدران، عدة كراسي، بعض اللوحات المائية التي تتناسب بألوانها مع لون السجادة الأزرق، ثم بروزر الدب سيبدو رائعاً على خزانة الأدراج.»

قالت ذلك وقد تملكها شعور دافىء بأن منزل رايف اصبح الآن بيتها هي أيضاً، وإلى نهاية الحياة.

تمت

www.liilas.com

زواج غير عادي

كاتي لينز

زواج سريع... جيني بنجامين! مصممة دبة دمى... شكراً لوصية جدتي. عليّ ان اتزوج... وبسرعة! قد يكون رايف ميرفي رجلاً فظاً، صعباً، ولكنه ينفع عند الضرورة، وبعد فأنا لست في سوق البحث عن زوج.

رايف ميرفي: والد مندفع متدفق بالحيوية... اذا لم اتزوج امرأة، أية امرأة وفي الحال، فقد أخسر الوصاية على ابنتي الصغيرة، ان جيني ليست النموذج الذي يجذبني في المرأة، ولكنها ملائمة، وبعد فأنا لست في سوق البحث عن زوجة.

الزواج أولاً فيتبعه الحب...

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال. - تونس: ٢ دينار

www.liilas.com